

المملكة العربية السعودية
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد



الوهابية تحت المجهر

د. ياسر بن إبراهيم السلامة

الوهابية تحت المجهر

د. ياسر بن إبراهيم السلامة

ح وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد ، ١٤٣٠هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السلامة ، ياسر بن إبراهيم

الوهابية ... تحت المجهر. / ياسر بن إبراهيم السلامة. - الرياض ، ١٤٣٠هـ

٨٠ ص ؛ ٢٠ سم

ردمك ٦ - ٦٦١ - ٢٩ - ٩٩٦٠ - ٩٧٨

١ - محمد بن عبدالوهاب بن سليمان ، ت ١٢٠٦هـ ٢ - الدعوة

السلفية - تاريخ - السعودية أ - العنوان

ديوي ٢١٧,٢ ١٤٣٠/٦٠٤٣

رقم الإيداع : ١٤٣٠/٦٠٤٣

ردمك ٩٧٨-٩٩٦٠-٢٩-٦٦١-٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة :

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على نبينا محمد وآله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد :

فمما لا شك فيه أن أفضل المراحل التي مرت بها الأمة الإسلامية ؛ تلك الفترة التي كان المسلمون ينعمـون فيها بصحبة النبي ﷺ ، ويحظون بتوجيهه ، ليس للتفرق بينهم وجود ، أما الاختلاف فنادر حدوثه ، وإذا وقع تم حسمه وبيان الحق فيه من قبل النبي ﷺ في حينه ، وكلما امتد الزمن كلما تناقص الخير والفضل ، كما قال عليه الصلاة والسلام : "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم – قال عمران لا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنه قرنين أو ثلاثة – قال النبي ﷺ : إن بعدكم قوما يخونون ولا يؤتمنون ، ويشهدون ولا يستشهدون ، وينذرون ولا يفون ، ويظهر فيهم السمن"(١) .

ومن أبرز مظاهر نقص الخير في الأمة البعد عن السنة ، والتفرق في الدين ، ويتمثل هذا في فرق ومذاهب عدة ، ظهرت في تاريخ الأمة الإسلامية ، خالفت المنهج النبوي في وجوب لزوم الجماعة ، والسير على الطريق الذي رسمه النبي ﷺ ، وسار عليه أصحابه من بعده .

وكما لا يخفى فإن كل فرقة في الغالب تدعي الفضل والخيرية على من عداها ، ويتضمن هذا قدحا صريحا أو ضمنيا بغيرها من الطوائف والمذاهب ، والمعول عليه هنا البرهان الصادق بالحقائق لا بالادعاء ، ويتمثل هذا باتباع النبي ﷺ والاقتداء به قولا وعملا.

(١) أخرجه البخاري ح (٢٥٠٨) ، ومسلم ح (٢٥٣٥) .

ومن الدعــوات التي كثر الكلام حولها تلك الدعوة التي خرجت في نجد في القرن الثاني عشر الهجـري ، والتي يطلــق عليها أحيانا الوهــابية ، نسبة لمؤسسها الأول محمد بن عبدالوهاب .

ولكـثرة ما يقال عن تلك الدعوة وما ينسب إليها ، وخصوصا على سبيل النقد ؛ كان من المهم التعرف على حقيقة تلك الدعوة وإمامها ، ومعرفة حقيقة التهم التي وجهت إليه وموقفه منها ، خاصة وأن بعض تلك التهم كانت متداولة في حياته وناقش بعضا منها ، ومن النصح للأمة بيان حقيقة تلك الدعوة ومدى التزامها بالهـدي النبوي ، وهل هي فرقة خارجة عن مذاهب الأئمة الأربعة أم هي في دائرتهم ، وهذا من العدل الذي أمرنا الله به حتى في حال وجود العداوة كما في قوله سـبحانه : ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ (1) .

وقد كان للأستاذ الدكتـور ناصر بن عبد الكريم العقل جهد مبارك في كتابه القيم الموسوم بـ "إسلامية لا وهابية" ، ولطول الكتاب الذي قد يحول دون الإفادة منه لعموم الراغبين في التعرف على حقيقة الدعوة ؛ جاءت هذه المشاركة ؛ تلخيصا واختصارا لما أورده الدكتور ناصر في كتابه من محاور وأفكار مع بعض الإضافات التي رأيتها مناسبة .

والله المسؤول التوفيق والسداد.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين.

---

(1) سورة المائدة آية (8) .

حقيقة الوهابية ونسبتها

الإمام محمد بن عبدالوهاب التميمي (١١١٥-١٢٠٦هـ) (١٧٠٣-١٧٩٢م) هو مؤسس الدعوة النجدية التي ظهرت في القرن الثاني عشر الهجري ، ونصره الإمام محمد بن سعود (ت١١٧٩هـ ، ١٧٦٥م) فتأسست الدولة السعودية الأولى ، ومن الأسماء التي اشتهرت بها تلك الدعوة (الوهابية) .

وإطلاق (الوهابية) على هذه الدعوة ابتداء كان من خصوم تلك الدعوة ومناوئيها، وكانوا يطلقونه على سبيل التنفير واللمز والتعيير، ويزعمون أنه مذهب مبتدع في الإسلام أو مذهب خامس.

ولم يكن إطلاق لقب (الوهابية) على هذه الدعوة أمراً مرضياً ولا شائعاً عند أصحاب هذه الدعوة وأتباعهم، بل إن كثيراً من المؤرخين والنقاد المحايدين يتفادون إطلاقه عليهم، لأنهم يعلمون أن وصفهم بالوهابية إنما يقصد به التشويه والتنفير، والحيلولة بين هذه الدعوة وبين بقية المسلمين ، وصرف الناس عن معرفة حقيقة هذه الدعوة وواقعها.

والناظر في مفاهيم الناس حول ما يسمونه (الوهابية) يجد كثيراً من الغبش والخلط والتفاوت في تلك الإطلاقات.

فالوصف السائد للوهابية عند أغلب الخصوم والمتأثرين بهم : كل من يتفادى الأعمال التي لم تنقل عن النبي ﷺ – مما قد يتقرب به بعض المسلمين – وينكرها ولا يقرها.

وقد يقصد بـالوهابية كل مذهب غريب وشاذ.

وآخرون يطلقون الوهابية على كل من كان على مذهب أهل السنة والجماعة، مقابل الشيعة أو مقابل الفرق الأخرى ، وقد يخصصه بعضهم بالاتجاهات السلفية، وأهل الحديث، وأنصار السنة ونحوهم.

وقد توسعت بعض وسائل الإعلام والاتجاهــات الغربية ومن دار في فلكها بإطلاق الوهابية على كل مسلم ينزع إلى التمسك بشعائر الدين وأحكامه ، وربما ترادف عند بعضهم عبارة (أصولي) أو متزمت أو متشدد.

وبعض المؤسسات والدوائر الغربية ومن تأثر بها ترادف الوهابية عندهم : التطــرف والإرهاب ، والعنف والعدوانية .

والاسم بحد ذاته لا يتضمن مدحا ولا ذما ، إذ هو مشتق من اسم والد مؤسس الدعوة محمد بن عبد الوهاب ، والانتقاد لهذا اللفظ بذاته ورفضه إنما يكون إذا ارتبط بمفهوم لا يصح ، كمدح لا تستحقه الدعوة ، أو ذم ليس له ما يبرره.

والمأمول أن تتضح الصورة من خلال المباحث التالية .

عقيدة الإمام محمد بن عبد الوهاب

نظراً لكثرة الخوض في عقيدة إمام الدعوة ومنهجه، وما أشيع من تهم ومزاعم فيه وفي دعوته واتباعه، فإن من المهم التعرف على عقيدته ومنهجه ،وقد أبان عن هذا بنفسه وذلك في رسالته التي بعثها إلى أهل القصيم حيث قال:

أشهد الله ومن حضرني من الملائكة، وأشهدكم: أني أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة:

من الإيمـــــان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره.

ومن الإيمـــان بالله: الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل، بل أعتقد أن الله سبحانه وتعالى : ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فلا أنفي عنه ما وصف به نفسه، ولا أحرف الكلم عن مواضعه، ولا ألحد في أســمائه وآياته، ولا أكيف، ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه ؛ لأنه تعالى لا سميَّ له ، ولا كفؤ له، ولا ند له، ولا يقاس بخلقه.

فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره ، وأصدق قيلاً، وأحسن حديثاً ، فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون ، من أهل التكييف، والتمثيل؛ وعما نفاه عنه النافون ، من أهل التحريف والتعطيل، فقال: ﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝١٨٠ وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ۝١٨١ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٨٢ ﴾ [سورة الصافات، آية: ١٨٠-١٨٢].

ثم قال مبيناً وسطية أهل السنة والجماعة: « والفرقة الناجية: وسط في باب أفعاله تعالى، بين القدرية والجبرية؛ وهم وسط في باب وعيد الله، بين المرجئة والوعيدية؛ وهم

وسط، في باب الإيمان والدين، بين الحرورية والمعتزلة؛ وبين المرجئة والجهمية؛ وهم وسط: في باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الروافض، والخوارج».

ثم قال مبيناً التزامه لعقيدة السلف في القرآن: «وأعتقد: أن القرآن كلام الله، منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود؛ وأنه تكلم به حقيقة، وأنزله على عبده ورسوله، وأمينه على وحيه، وسفيره بينه وبين عباده، نبينا محمد ﷺ».

ثم قرر ما يعتقده في القدر فقال: «وأومن: بأن الله فعّال لما يريد، ولا يكون شيء إلا بإرادته، ولا يخرج شيء عن مشيئته، وليس شيء في العالم يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد لأحد عن القدر المحدود، ولا يتجاوز ما خط له في اللوح المسطور».

ثم قال: «وأعتقد الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ مما يكون بعد الموت، فأومن بفتنة القبر ونعيمه، وبإعادة الأرواح إلى الأجساد، فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة عراة غرلاً، تدنو منهم الشمس، وتنصب الموازين، وتوزن بها أعمال العباد ﴿ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [سورة المؤمنون، آية: ١٠٢-١٠٣] وتنشر الدواوين، فآخذ كتابه بيمينه، وآخذ كتابه بشماله».

ثم قال: «وأومن: بحوض نبينا محمد ﷺ بعرصة القيامة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته عدد نجوم السماء، من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبداً؛ وأؤمن بأن الصراط منصوب على شفير جهنم، يمر به الناس على قدر أعمالهم».

الوهابية تحت المجهر

ثم قال: «وأومن بشفاعة النبي ﷺ وأنه أول شافع، وأول مشفع؛ ولا ينكر شفاعة النبي ﷺ إلا أهل البدع والضلال؛ ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى، كما قال تعالى ﴿ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ ﴾ [سورة الأنبياء، آية: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٢٥٥]، وقال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَـٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴾ [سورة النجم، آية: ٢٦]، وهو: لا يرضى إلا التوحيد؛ ولا يأذن إلا لأهله؛ وأما المشركون: فليس لهم من الشفاعة نصيب؛ كما قال تعالى: ﴿ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَـٰعَةُ ٱلشَّـٰفِعِينَ ﴾ [سورة المدثر، آية: ٤٨].

ثم ذكر عقيدته في الجنة والنار والرؤية فقال: «وأومن بأن الجنة والنار مخلوقتان، وأنهما اليوم موجودتان، وأنهما لا تفنيان؛ وأن المؤمنين يرون ربّهم بأبصارهم يوم القيامة، كما يرون القمر ليلة البدر، لا يضامون في رؤيته».

ثم قال: «وأومن بأنّ نبينا محمد ﷺ خاتم النبيين والمرسلين، ولا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته».

ثم ذكر عقيدته في الصحابة وأمهات المؤمنين فقال: «وأن أفضل أمته أبوبكر الصديق؛ ثم عمر الفاروق، ثم عثمان ذو النورين؛ ثم علي المرتضى؛ ثم بقية العشرة؛ ثم أهل بدر؛ ثم أهل الشجرة أهل بيعة الرضوان؛ ثم سائر الصحابة ﷺ؛ وأتولى أصحاب رسول الله ﷺ وأذكر محاسنهم، وأترضى عنهم، وأستغفر لهم، وأكف عن مساويهم، وأسكت عما شجر بينهم؛ وأعتقد فضلهم، عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ

رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ » [سورة الحشر، آية: ١٠] وأترضى عن أمهات المؤمنين المطهرات من كل سوء ».

ثم قال في الأولياء وكراماتهم: « وأقر بكرامات الأولياء وما لهم من المكاشفات، إلاّ أنهم لا يستحقون من حق الله تعالى شيئاً، ولا يطلب منهم ما لا يقدر عليه إلا الله ».

ثم ذكر عقيدته في المسلمين وأنه لا يكفرهم فقال: « ولا أشهد لأحد من المسلمين بجنة ولا نار، إلا من شهد له رسول الله ﷺ، ولكني أرجو للمحسن، وأخاف على المسيء، ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب، ولا أخرجه من دائرة الإسلام».

ثم ذكر عقيدته في الجهاد مع أئمة المسلمين والصلاة خلفهم فقال: «وأرى الجهاد ماضياً مع كل إمام: براً كان، أو فاجراً، وصلاة الجماعة خلفهم جائزة، والجهاد ماض منذ بعث الله محمداً ﷺ إلى أن يقاتل آخر هذه الأمة الدجال، لا يبطله جور جائر، ولا عدل عادل ».

ثم قال: « وأرى وجوب السمع والطاعة: لأئمة المسلمين برّهم وفاجرهم، ما لم يأمروا بمعصية الله، ومن ولي الخلافة، واجتمع عليه الناس، ورضوا به، وغلبهم بسيفه حتى صار خليفة وجبت طاعته؛ وحرم الخروج عليه».

ثم ذكر موقفه من أهل البدع فقال: « وأرى هجر أهل البدع، ومباينتهم حتى يتوبوا، وأحكم عليهم بالظاهر، وأكل سرائرهم إلى الله؛ وأعتقد: أنّ كل محدثة في الدين بدعة ».

وبيّن ما يعتقده في الإيمان ومسائله فقال: « وأعتقد أن الإيمان: قول باللسان، وعمل بالأركان، واعتقاد بالجنان، يزيد بالطاعة، وينقص بالمعصية؛ وهو: بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق،

الوهابية تحت المجهر

وأرى وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، على ما توجبه الشريعة المحمدية الطاهرة.

فهذه عقيدة وجيزة، حررتها وأنا مشتغل البال، لتطلعوا على ما عندي، والله على ما نقول وكيل »[1].

وتأكيدا منه على أنه لا يخرج فيما ذهب إليه عن أقوال العلماء والأئمة المعتبرين كالأئمة الأربعة قال مخاطباً عامة علماء المسلمين: « من محمد بن عبدالوهاب: إلى من يصل إليه من علماء الإسلام، آنس الله بهم غربة الدين، وأحيا بهم سنة إمام المرسلين، ورسول رب العالمين، سلام عليكم معشر الإخوان، ورحمة الله وبركاته؛ أما بعد: فإنه قد جرى عندنا فتنة عظيمة، بسبب أشياء نهيت عنها بعض العوام من العادات التي نشؤوا عليها، وأخذها الصغير عن الكبير؛ مثل: عبادة غير الله، وتوابع ذلك، من تعظيم المشاهد، وبناء القباب على القبور وعبادتها، واتخاذها مساجد، وغير ذلك مما بينه الله ورسوله غاية البيان، وأقام الحجة، وقطع المعذرة؛ ولكن الأمر كما قال ﷺ: « بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ »[2]، فلما عظم [على] العوام قطع عادتهم؛ وساعدهم على إنكار دين الله بعض من يدعى العلم، وهو من أبعد الناس عنه - إذ العالم من يخشى الله - فأرضى الناس بسخط الله؛ وفتح للعوام باب الشرك بالله، وزين لهم وصدهم عن إخلاص الدين لله؛ وأوهمهم أنه من تنقيص الأنبياء والصالحين؛ وهذا بعينه هو الذي جرى على رسول الله ﷺ لما ذكر أن عيسى -عليه السلام-: عبد مربوب، ليس له من الأمر شيء؛ قالت النصارى: إنه سب المسيح،

(١) الدرر السنية (١/٢٩-٣٠).

(٢) رواه مسلم برقم (٢٣٢)، والترمذي (٢٦٢٩)، وابن ماجة (٣٩٨٦، ٣٩٧٨، ٣٩٨٨).

وأمه ؛ وهكذا قالت الرافضة لمن عرف حقوق أصحاب رسول الله وأحبهم و لم يغل فيهم رموه ببغض أهل بيت رسول الله ﷺ.

وهكذا هؤلاء، لما ذكرت لهم، ما ذكره الله ورسوله، وما ذكره أهل العلم، من جميع الطوائف، من الأمر بإخلاص الدين لله، والنهي عن مشابهة أهل الكتاب من قبلنا، في اتخاذ الأحبار، والرهبان، أرباباً من دون الله ؛ قالوا لنا: تنقصتم الأنبياء، والصالحين، والأولياء ؛ والله تعالى ناصر لدينه، ولو كره المشركون».

وقال مبيناً أن مستنده كلام العلماء من كل الطوائف:

وها أنا أذكر مستندي في ذلك، من كلام أهل العلم، من جميع الطوائف، فرحم الله من تدبرها بعين البصيرة، ثم نصر الله، ورسوله، وكتابه، ودينه، ولم تأخذه في ذلك لومة لائم.

كلام الحنابلة:

فأما كلام الحنابلة، فقال الشيخ: تقي الدين، - رحمه الله- لما ذكر حديث الخوارج: فإذا كان في زمن النبي ﷺ، وخلفائه ممن قد انتسب إلى الإسلام، من مرق منه، مع عبادته العظيمة، فيعلم: أن المنتسب إلى الإسلام، والسنة، قد يمرق أيضاً ؛ وذلك بأمور، منها: الغلو، الذي ذمه الله تعالى ؛ كالغلو في بعض المشائخ، كالشيخ عدي ؛ بل الغلو في علي بن أبي طالب ؛ بل الغلو في المسيح، ونحوه.

فكل من غلا في نبي، أو رجل صالح، وجعل فيه نوعاً من الإلهية، مثل أن يدعوه من دون الله، بأن يقول: يا سيدي فلان: أغثني ؛ أو أجرني ؛ أو أنت حسبي ؛ أو أنا في حسبك ؛ فكل هذا شرك، وضلال، يستتاب صاحبه، فإن تاب وإلا قتل ؛ فإن الله أرسل الرسل ليعبد وحده، لا يجعل معه إله آخر، والذين يجعلون مع الله آلهة أخرى، مثل الملائكة، أو المسيح، أو العزير، أو الصالحين، أو غيرهم، لم يكونوا يعتقدون: أنها تخلق وترزق ؛ وإنما كانوا

يدعونهم، يقولون: « هؤلاء شفعاؤنا عند الله » فبعث الله الرسل: تنهى أن يدعى أحد من دون الله، لا دعاء عبادة، ولا دعاء استغاثة، انتهى.

وقال في: الإقناع، في أول باب حكم المرتد: إن من جعل بينه وبين الله وسائط، يدعوهم، فهو: كافر إجماعاً.

كلام الحنفية:

وأما كلام الحنفية، فقال الشيخ: قاسم، في شرح: درر البحار ؛ النذر: الذي يقع من أكثر العوام، بأن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء، قائلاً: يا سيدي، إن رد غائبي، أو عوفي مريضي، أو قضيت حاجتي: فلك من الذهب، أو الطعام، أو الشمع، كذا، وكذا، باطل إجماعاً، لوجوه ؛ منها: أن النذر للمخلوق، لا يجوز ؛ ومنها: أنه ظن الميت يتصرف في الأمر، واعتقاد هذا: كفر ؛ إلى أن قال: وقد ابتلي الناس بذلك، ولاسيما في مولد الشيخ ؛ أحمد البدوي.

وقال الإمام: البزازي، في فتاويه: إذا رأى رقص صوفية، زماننا هذا، في المساجد مختلطاً بهم جهّال العوام، الذين لا يعرفون القرآن، والحلال والحرام ؛ بل لا يعرفون الإسلام، والإيمان، لهم نهيق، يشبه نهيق الحمير، يقول: هؤلاء لا محالة اتخذوا دينهم لهواً ولعباً، فويل للقضاة، والحكام، حيث لا يغيرون هذا، مع قدرتهم.

كلام الشافعية:

وأما: كلام الشافعية، فقال الإمام، محدث الشام: أبوشامة، في كتاب: الباعث على إنكار البدع والحوادث -وهو في زمن الشارح، وابن حمدان- لكن نبين من هذا: ما وقع فيه جماعة من جهال العوام، النابذين لشريعة الإسلام، وهو ما يفعله الطوائف، من المنتسبين إلى الفقر، الذي حقيقته الافتقار من الإيمان، من

مواخاة النساء الأجانب، واعتقادهم في مشائخ لهم».

وأطال – رحمه الله – الكلام، إلى أن قال: وبهذه الطرق، وأمثالها: كان مبادئ ظهور الكفر، من عبادة الأصنام، وغيرها؛ ومن هذا: ما قد عم الابتلاء به، من تزيين الشيطان للعامة، تخليق الحيطان، والعمد، وسرج مواضع مخصوصة، في كل بلد، يحكي لهم حاكٍ أنه رأى في منامه بها: أحداً ممن شهر بالصلاح ثم يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم، ويرجون الشفاء لمرضاهم، وقضاء حوائجهم، بالنذر لها، وهي ما بين عيون، شجر، وحائط؛ وفي مدينة: دمشق، صانها الله من ذلك، مواضع متعددة.

ثم ذكر – رحمه الله – الحديث الصحيح عن رسول الله ﷺ لما قاله له بعض من معه: اجعل لنا ذات أنواط قال: « الله أكبر، قلتم والذي نفس محمد بيده، كما قال قوم موسى اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة »[1] انتهى كلامه –رحمه الله–.

وقال في: اقتضاء الصراط المستقيم، إذا كان هذا كلامه ﷺ في مجرد قصد شجرة، لتعليق الأسلحة، والعكوف عندها، فكيف بما هو أعظم منها: الشرك بعينه، بالقبور ونحوها.

كلام المالكية:

وأما: كلام المالكية، فقال أبوبكر: الطرطوشي، في كتاب: الحوادث والبدع، لما ذكر حديث الشجرة، ذات أنواط؛ فانظروا رحمكم الله: أينما وجدتم، سدرة، أو شجرة، يقصدها الناس، ويعظمون من شأنها، ويرجون البرء، والشفاء لمرضاهم، من قبلها؛ فهي: ذات أنواط، فاقطعوها؛ وذكر حديث العرباض بن سارية الصحيح، وفيه

(1) جزء من حديث أبي واقد الليثي رواه الترمذي (٢١٨١) وصححه.

قوله ﷺ: « فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة »[1].

قال في البخاري، عن أبي الدرداء أنه قال: والله ما أعرف من أمر محمد شيئاً، إلا أنهم يصلون جميعاً. وروى مالك: في الموطأ، عن بعض الصحابة، أنه قال: ما أعرف شيئاً مما أدركت عليه الناس، إلا النداء بالصلاة. قال الزهري؛ دخلت على أنس، بدمشق، وهو يبكي... فقال: ما أعرف شيئاً مما أدركت، إلا هذه الصلاة؛ وهذه الصلاة، قد: ضيعت؛ قال الطرطوشي – رحمه الله– فانظروا رحمكم الله: إذا كان في ذلك الزمن، طمس الحق، وظهر الباطل، حتى ما يعرف من الأمر القديم إلا القبلة؛ فما ظنك بزمانك هذا؟! والله المستعان.

وليعلم الواقف: على هذا الكلام من أهل العلم – أعزهم الله– أن الكلام في مسألتين؛ الأولى: أن الله سبحانه بعث محمداً ﷺ لإخلاص الدين لله، لا يجعل معه أحد، في العبادة، والتأله، لا ملك، ولا نبي، ولا قبر، ولا حجر، ولا شجر، ولا غير ذلك؛ وأن من عظّم الصالحين بالشرك بالله، فهو: يشبه النصارى؛ وعيسى –عليه السلام–: بريء منهم.

والثانية: وجوب اتباع سنّة رسول الله ﷺ وترك البدع، وإن اشتهرت بين أكثر العوام، وليعلم: أن العوام محتاجون إلى كلام أهل العلم، من تحقيق هذه المسائل، ونقل كلام العلماء؛ فرحم الله من نصر الله، ورسوله، ودينه، ولم تأخذه في الله

(1) رواه أحمد (١٢٦/٤)، وأبو داود (٤٦٠٧)، والترمذي (٢٦٧٦)، وابن ماجه (٤٣)، وغيرهم، عن العرباض بن سارية، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٩٣٧).

لومة لائم ؛ والله أعلم ، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم »[1].

وقد أجمل الإمام ذلك كله بقوله : « والحاصل : أن كل ما ذكر عنا من الأشياء غير الدعوة إلى التوحيد ، والنهي عن الشرك ، فكله من البهتان »[2].

والمتأمل بإنصاف لما كتبه الإمام محمد بن عبد الوهاب عن عقيدته ، يجد أنه لم يخرج في شئ منها عما عليه أهل السنة من العلماء والأئمة .

---

(١) الدرر السنية (٢/٤٩-٥٤).

(٢) الدرر السنية (١/٧٢).

أبرز التهم والدعاوى التي نسبت للدعوة وحقيقتها

أثيرت حول الإمام محمد بن عبد الوهاب ودعوته شبهات وأقاويل عديدة ، ترتبط بدعوته وأهدافها ، وتنتقد مسلكه فيها ، على اعتبار أنها تخالف الإسلام ودعــوة النبي محمد ﷺ ، وفي هذا المبحث عرض لأبرز ما وصمت به الدعوة من تهم، مع بيان لحقيقتها .

وقد أشار الإمام إلى بعض ما نسب له ولدعوته وبين موقفه من ذلك ، ضمن رسالة كتبها لحاكم الحجاز الشريف غالب ، ذكر فيها ما تناقله بعض العامة ومن أيدهم من بعض طلبة العلم من التهم فقال : " أشاعوا عنا أنا نسب الصالحين، وأنا على غير جادة العلماء، ورفعوا الأمر إلى المشرق والمغرب، وذكروا عنا أشياء يستحي العاقل من ذكرها، وأنا أخبركم بما نحن عليه، بسبب أن مثلكم ما يروج عليه الكذب، ليتبين لكم الأمر، وتعلموا الحقيقة.

فنحــن – ولله الحمد– متبعون لا مبتدعــون، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وتعلمــون – أعزكم الله – أن المطاع في كثير من البلدان، لو يتبين بالعمل بهاتين المسألتين، أنها تكبر عند العامة، الذين درجوا هم وآباؤهم على ضد ذلك، وأنتم تعلمون – أعزكم الله– أن في ولايــة أحمد بن سعيد، وصل إليكم الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله، وأشرفتم على ما عندنا، بعدما أحضروا كتب الحنابلـــة، التي عندنا كالعمدة، وكالتحفــة، والنهاية عند الشافعية، فلما طلب منا الشريف غالب – أعزه الله ونصره– امتثلنا أمره، وأجبنا طلبه، و هو إرسال رجل من أهل العقل والعلم، ليبحث مع علماء

بيت الله الحرام »[1].

وإذا كان الإمام قد بين في هذه الرسالة أنه متبع لا مبتدع إجمالا ، فمن المهم الوقوف على أبرز الدعاوى التي قيلت فيه وفي دعوته ، والنظر في موقفه منها تفصيلا ، ومن أبرزها :

أولاً : دعوى منعهم الشفاعة والتوسل والتبرك مطلقاً:

التوسل والتبرك والشفاعة من المسائل الحساسة ، نظرا لما يتوارد عند بعض الناس من لبس فيها ، نظرا لعدم التفريق بين تعظيم النبي ﷺ والغلو فيه ، وعدم التفريق بين شفاعته في حياته وشفاعته بعد مماته وشفاعته يوم القيامة .

ولما ظهر الإمام محمد بن عبدالوهاب ، كان مما انتقد عليه ما يتعلق بالتوسل والتبرك والشفاعة. فأشاع الخصوم أن الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه يمنعون التوسل والتبرك والشفاعة مطلقاً.

وأنهم بناء على ذلك ينتقصون الرسول ﷺ وربما قالوا : يبغضونه ، وأنهم بناء على ذلك يبغضون الأنبياء والصالحين ويكرهون الأولياء!.

وقد أفاض الإمام محمد بن عبدالوهاب في هذه المسألة وكذلك علماء الدعوة ومما ذكره الإمام في هذا ما كتبه في رسالته لابن صياح التي يقول فيها :

بسم الله الرحمن الرحيم

الذي يعلم من وقف عليه من الإخوان ، المتبعين لمحمد ﷺ أن ابن صياح : سألني عما ينسب إليّ؟ فطلب مني : أن أكتب الجواب ؛ فكتبته :

الحمد لله رب العالمين ؛ أما بعد : فما ذكره المشركون : على أني أنهى عن

(١) انظر : الدرر السنية (١/٥٧) .

الصلاة على النبي ، أو أني أقول : لو أن لي أمراً ، هدمت قبة النبي ﷺ أو أني أتكلم في الصالحين ، أو أنهى عن محبتهم ، فكل هذا كذب وبهتان ، افتراه علي الشياطين ، الذين يريدون أن يأكلوا أموال الناس بالباطل ، مثل أولاد شمسان ، وأولاد إدريس ، الذين يأمرون الناس ينذرون لهم ، وينخونهم[1] ، ويندبونهم وكذلك فقراء الشيطان ، الذين ينتسبون إلى الشيخ عبدالقادر – رحمه الله – ، وهو منهم بريء ، كبراءة علي بن أبي طالب من الرافضة.

إلى أن قال : « وبالجملة فالذي أنكره الاعتقاد في غير الله ، مما لا يجوز لغيره ؛ فإن كنت قلته من عندي فارم به ، أو من كتاب لقيته ليس عليه عمل فارم به كذلك ، أو نقلته عن أهل مذهبي فارم به ، وإن كنت قلته عن أمر الله ورسوله ، وعما أجمع عليه العلماء في كل مذهب ، فلا ينبغي لرجل يؤمن بالله واليوم الآخر أن يعرض عنه لأجل أهل زمانه ، أو أهل بلده ، وأنّ أكثر الناس في زمانه أعرضوا عنه.

واعلم أن الأدلة على هذا من كلام الله وكلام رسوله كثيرة...

وقد بين الإمام تجرده في هذا الباب فقال : « ونختم هذا الكتاب بكلمة واحدة ، وهي أن أقول : يا عباد الله ، لا تطيعوني ولا تفكروا[2] ؛ واسألوا أهل العلم من كل مذهب ، عما قال الله ورسوله ؛ وأنا أنصحكم : لا تظنوا أن الاعتقاد في الصالحين ، مثل الزنا ، والسرقة ، بل هو عبادة للأصنام ، من فعله كفر ، وتبرأ منه رسول الله ﷺ ، يا عباد الله تفكروا وتذكروا ؛ والسلام»[3].

(١) أي : يستنجدون بهم .

(٢) يظهر والله أعلم أن مراده : لا تعرضوا عن موافقتي دون تفكير.

(٣) الدرر السنية (١/٧٤-٧٨) باختصار.

ومن أساليب الخصوم وإمعانهم في تهييج عواطف عامة المسلمين وجهالهم ضد الدعوة أن زعموا أن أهلها يهينون الأولياء والأموات ولا يعظمونهم.

وقد بين الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن موقف الدعوة من هذه المسألة ، وبين أنه لا يخرج عما دلت عليه النصوص الشرعية في هذا الباب ، ونقل اختصارا لكلام الإمام ابن القيم رحمه الله فقال : من امتطى كاهل الصدق والوفاء، وسلم من التعصب والعناد والجفاء ، وتوسط في المحجة ، وقنع في قبول الحق بالحجة، كان ذلك طريقه ، ونهجه ، وأشرق في صدره مصباح القبول ، وأوقد فيه بزيت المعرفة والوصول ، وكان من ضوء التوحيد على حصول .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : في الإغاثة ، قال ﷺ : "لا تتخذوا قبري عيداً"[1] وقال : "اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد ، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد"[2] وفي اتخاذها عيداً ، من المفاسد ، ما يغضب لأجله من في قلبه وقار لله ، وغيرة على التوحيد ؛ ولكن : ما لجرح بميت إيلام .

منها : الصلاة إليها ، والطواف بها ، واستلامها ، وتعفير الخدود على ترابها، وعبادة أصحابها ، وسؤالهم النصر ، والرزق ، والعافية ، وقضاء الديون ، وتفريج الكربات ، التي كان عباد الأوثان يسألونها أوثانهم ؛ وكل من شم أدنى رائحة من العلم : يعلم أن من أهم الأمور سد الذريعة إلى ذلك ، وأنه ﷺ أعلم بعاقبة ما نهى عنه ، وأنه يؤول إليه ، وإذا لعن من اتخذ القبور مساجد يعبد الله فيها ، فكيف بملازمتها ، واعتياد قصدها ، وعبادتها؟

(١) أخرجه أبو داود في سننه ٤١٨/٥ رقم (١٧٤٦) في باب زيارة القبور ، وأحمد في المسند ٤٩١/١٧ ، قال الألباني في صحيح سنن أبي داود ٤٢/٥ رقم (٢٠٤٢) "صحيح".

(٢) أخرجه مالك في الموطأ ٤١/٢ رقم (٣٧٦) في باب جامع الصلاة .

ومن جمع بين سنة رسول الله ﷺ في القبور ، وما أمر به ، وما نهى عنه ، وما عليه أصحابه ، وبين ما عليه أكثر الناس اليوم ، رأى أحدهما مضاداً للآخر ، فنهى عن اتخاذها مساجد ، وهؤلاء يبنون عليها المساجد ، ونهى عن تسريجها ، وهؤلاء : يوقوفون عليها الوقوف ، على إيقاد القناديل عليها .

ونهى عن أن تتخذ عيداً ، وهؤلاء يتخذونها أعياداً ؛ ونهى عن تشريفها ، وأمر بتسويتها كما في صحيح مسلم ، عن علي ﵁ ؛ وهؤلاء : يرفعونها ، ويجعلون عليها القباب ؛ ونهى عن تجصيص القبر ، والبناء عليه ، كما في صحيح مسلم عن جابر ، ونهى عن الكتابة عليها ، كما رواه الترمذي في صحيحه عن جابر ؛ ونهى أن يزاد عليها غير ترابها ، كما رواه أبو داود عن جابر ؛ وهؤلاء: يتخذون عليها الألواح ، ويكتبون عليها القرآن ، ويزيدون على ترابها بالجص ، والآجر ، والأحجار .

وقد آل الأمر بهؤلاء الضلال المشركين : إلى أن شرعوا للقبور حجا ، ووضعوا له مناسك ، حتى صنف بعض غلاتهم في ذلك كتابا ، وسماه : مناسك حج المشاهد ؛ ولاشك أن هذا : مفارقة لدين الإسلام ، ودخول في دين عبادة الأصنام .

فانظر : إلى التباين العظيم ، بين ما شرعه الرسول ﷺ لأمته ، وبين ما شرعه هؤلاء ، والنبي ﷺ أمر بزيارة القبور ، لأنها تذكر الآخرة ، وأمر الزائر : أن يدعو لأهل القبور ، ونهاه أن يقول هجراً ؛ فهذه الزيارة التي أذن رسول الله ﷺ فيها لأمته ، وعلمهم إياها ، هل تجد فيها شيئاً مما يعتمد عليه أهل الشرك والبدع؟ أم تجدها مضادة لما هم عليه من كل وجه .

وما أحسن ما قال الإمام مالك رحمه الله : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما

أصلح أولها ؛ ولكن: كلما ضعف تمسك الأمم بعهود أنبيائهم ، عوضوا عن ذلك بما أحدثوا من البدع ، والشرك .

ولقد جرد السلف الصالح التوحيد، وحموا جانبه ، حتى كان أحدهم إذا سلم على النبي ﷺ، ثم أراد الدعاء ، جعل ظهره إلى جدار القبر ، ثم دعا ، وقد نص على ذلك الأئمة الأربعة : أنه يستقبل القبلة وقت الدعاء، حتى لا يدعو عند القبر، فإن الدعاء عبادة .

وبالجملة: فإن الميت قد انقطع عمله ،فهو محتاج إلى من يدعو له ، ولهذا شرع في الصلاة عليه من الدعاء ، ما لم يشرع مثله للحي ؛ ومقصود الصلاة على الميت: الاستغفار ، والدعاء له ؛ وكذلك الزيارة ، مقصودها : الدعاء للميت ، والإحسان إليه ، وتذكير الآخرة ، فبدل أهل البدع ، والشرك قولاً غير الذين قيل لهم .

فبدلوا الدعاء له بدعائه نفسه ، والشفاعة له بالاستشفاع به ، والزيارة التي شرعت إحساناً إلى الميت وإلى الزائر بسؤال الميت ، والاقسام به على الله ، وتخصيص تلك البقعة بالدعاء ، الذي هو محض العبادة ، وحضور القلب عندها وخشوعه أعظم منه في المساجد!

ثم ذكر حديث ذات أنواط ، ثم قال : فإذا كان اتخاذ الشجرة ، لتعليق الأسلحة ، والعكوف لها : اتخاذ إله مع الله ، وهم لا يعبدونها ولا يسألونها ، فما الظن بالعكوف حول القبر ودعائه والدعاء عنده والدعاء به؟ وأي : نسبة للفتنة بشجرة إلى الفتنة بالقبر؟ لو كان أهل الشرك والبدع يعلمون! »[(١)] .

وأئمة الدعوة لا ينهون عن زيارة القبور مطلقاً ، بل ينهون عن الزيارات

(١) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١/٤١٨-٤٢١).

البدعية ، ويحثون على الزيارة الشرعية ، وقد بين الشيخ حمد بن ناصر بن معمر الفرق بين النوعين فقال زيارة القبور نوعان: زيارة شرعية وزيارة بدعية شركية ، فالزيارة الشرعية مقصودها ثلاثة أشياء (أحدها) تذكير الآخرة والاتعاظ والاعتبار ، (والثاني) الإحسان إلى الميت في أن لا يطول عهده به فيهجره ويتناساه ، فإذا زاره وأهدى إليه هدية من دعاء أو صدقة سر الميت بذلك ، كما يسر الحي من يزوره ويهدي له ، ولهذا شرع النبي ﷺ للزائر أن يدعو لأهل القبور بالمغفرة والرحمة ، ولا يشرع أن يدعوهم ولا يدعو بهم ولا يصلي عندهم ، (الثالث) إحسان الزائر إلى نفسه ، باتباع السنة والوقوف عند ما شرعه الرسول ﷺ، فيحسن إلى نفسه وإلى المزور .

وأما الزيارة البدعية الشركية فأصلها مأخوذ من عبادة الأصنام ، وهو أن يقصد قبر صالح في الصلاة عنده أو الدعاء عنده أو الدعاء به أو طلب الحوائج منه أو الاستغاثة به ونحو ذلك من البدع ، التي لم يشرعها رسول الله ﷺ ولا فعلها أحد من الصحابة ولا التابعين لهم بإحسان .

ثم اعلم أن الزيارة الشرعية هي التي لا تشد لها الرحال ، فإن كانت تشد لها رحال فهي زيارة بدعية لم يأمر بها رسول الله ﷺ ولا فعلها الصحابة ، بل قد نهى عنها رسول الله ﷺ كما ثبت عنه في الصحيحين أنه قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا"، وهذا الحديث اتفق الأئمة على صحته والعمل به»[(١)] .

(١) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/٦٥٤- ٦٥٥).

ثانياً: مسألة التكفير والتشدد والقتال والإرهاب وما يلحق بها:

مسألة التكفير والتشدد والقتال من أخطر المسائل التي أثارها خصوم الدعوة من أهل البدع والأهواء والافتراق ضد الدعوة وأئمتها، بل وبعض المحايدين وبعض المؤيدين البعيدين عن الساحة الداخلية للدعوة ، أو الذين لم تتهيأ لهم الفرصة الكافية للتعرف على حقيقة الدعوة منهجاً وواقعاً، أثاروا دعوى أن الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه يكفرون المسلمين ويستحلون قتالهم، وقد تفرع عن هذه الدعوى القول بأنهم خوارج ومتشددون ونحو ذلك.

ومن أكثر ما يتذرع به الخصوم أن الإمام وأتباعه يطلقون على خصومهم عبارات (المشركين والكفار) ونحوها من العبارات ، مما يعني تساهلا في التكفير عند البعض ، ولبيان هذه المسألة لا بد من التنبيه على أمور مهمة :

١- أن إطلاق عبارة المشركين والكفار على الخصوم إنما كانوا يقولونها في وصف رؤوس الخصوم والمعاندين وجيوشهم المقاتلة، لأنهم كانوا يحملون راية رفض دعوة التوحيد والدفاع عن الشركيات والبدع بعد إقامة الحجة عليهم.

ومن قاتل معهم من العوام والغوغاء لا اعتبار له في الحكم أصلاً ، فالحكم على الراية التي تقاتل في سبيل البدع والشركيات وتصد عن دين الله.

٢- أن الذين استعملوا هذه العبارات من المؤرخين كابن غنام وابن بشر وبعض الشعراء، والمناصرين للدعوة ، كانت تغلب عليهم روح الحماس والعاطفة والأسلوب الإعلامي أكثر من التأصيل الشرعي.

٣- أن إمام الدعوة وعلماءها حين يتكلمون عن عموم المسلمين من المخالفين من عوام أهل البدع، يبرؤون إلى الله من تكفيرهم، ومن وصفهم بالمشركين، ومن استحلال دمائهم .

أما من كان من المعاندين والمقاتلين ومن كان في صفوفهم فحكمه حكمهم ، من حيث التعامل في الظاهر والله أعلم بالسرائر .

٤- أن أغلب هذه الأوصاف والأحكام كانت عامة لا تنصرف للأعيان ، وهناك فرق بين التكفير بفعل عموماً، وتكفير المعين.

ومما لا يخفى أن قضية التكفير والقتال من القضايا الشائكة ، وفيها اشتباه ولبس كبير، ولذلك استغلها الخصوم ضد الدعوة ولا يزالون ، وهذا اللبس والاشتباه جعل بعض المؤيدين للدعوة البعيدين عن ساحتها يتحفظون أو يأخذون على الدعوة وأهلها أنهم متشددون.

كما فعل محمد صديق خان حين اتهمهم بإراقة الدماء ، والعجيب أنه ذكر أن مصدره في هذه المعلومة كتب العلماء المسيحيين[1]!

وما يقال عن الإمام وعلماء الدعوة وأتباعها حول التكفير واستحلال قتال المسلمين ودمائهم ونحو ذلك من الاتهامات، كله مما لا يصح، أو مما له وجه شرعي معتبر قام الدليل الشرعي على القول بكفر من فعله ، وانتفت الموانع التي تحول دون تكفير المعين ، يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب مبيناً ذلك : « وأما ما ذكر الأعداء عني أني أكفر بالظن وبالموالاة، أو أكفر الجاهل الذي لم تقم عليه الحجة فهذا بهتان عظيم يريدون به تنفير الناس عن دين الله ورسوله ﷺ»[2].

ومما يؤكد حرصه في هذا الباب تأكيده على البراءة من التكفير بالذنوب - كما تفعله الخوارج - كقوله: « ولا أكفر أحداً من المسلمين بذنب ولا أخرجه من دائرة

(١) انظر: دعاوى المناوئين (١٥٨-١٦٠).
(٢) مؤلفات الشيخ القسم الخامس (٢٥).

الإسلام »[١].

وقال في رسالته إلى عالم العراق ابن السويدي في سياق ذكر ما أشيع عن الشيخ من البهتان: « ومنها ما ذكرتم: أني أكفر جميع الناس إلا من اتبعني، وازعم أن أنكحتهم غير صحيحة، ويا عجباً كيف يدخل هذا في عقل عاقل... »[٢].

وأشار إلى ما أشيع من أنه يكفر الناس بالعموم وبين موقفه فقال: « وأما القول: أنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، و نقول سبحانك هذا بهتان عظيم »[٣].

وكان يعامل الناس على ظواهرهم ويكل سرائرهم إلى الله، قال في أهل البدع: «وأحكم عليهم بالظاهر وأكل سرائرهم إلى الله تعالى»[٤].

وقد أرسل أحد علماء اليمن[٥] رسالة للإمام محمد بن عبد الوهاب، يسأله فيها عن حقيقة ما يشاع عنه من المفتريات ومما جاء فيها: « أما بعد؛ بلغني على ألسن الناس عنك ممن أصدق علمه وما لا أصدق، والناس اقتسموا فيكم بين قادح ومادح، فالذي سرني عنك الإقامة على الشريعة في آخر هذا الزمان، وفي غربة الإسلام، أنك تدعو به وتقوم أركانه، فوالله الذي لا إله غيره مع ما نحن فيه عند قومنا، ما نقدر على ما تقدر عليه، من بيان الحق، والإعلان بالدعوة.

وأما قول من لا أصدق أنك تكفر بالعموم، ولا تبغي الصالحين، ولا تعمل

(١) الدرر السنية (١/٣٢).
(٢) الدرر السنية (١/٨٠).
(٣) الدرر السنية (١/١٠٠).
(٤) الدرر السنية (١/٣٣).
(٥) هو: إسماعيل الجراعي.

بكتب المتأخرين، فأنت أخبرني، واصدقني بما أنت عليه، وما تدعو الناس إليه، ليستقر عندنا خبرك ومحبتك؟»[١].

فأجابه بقوله: « أما بعد: فما تسأل عنه، فنحمد الله الذي لا إله غيره، ولا رب لنا سواه، فلنا أسوة، وهم: الرسل، عليهم الصلاة والسلام أجمعين، وأما ما جرى لهم مع قومهم، وما جرى لقومهم معهم، فهم قدوة وأسوة لمن اتبعهم.

فما تسأل عنه، من الاستقامة على الإسلام؟ فالفضل لله، وقال رسول الله ﷺ: « بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ »[٢].

وأما القول: أنا نكفر بالعموم؟ فذلك من بهتان الأعداء، الذين يصدون به عن هذا الدين؛ ونقول: ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ [سورة النور، آية: ١٦].

وأما الصالحون فهم على صلاحهم ﵃، ولكن نقول: ليس لهم شيء من الدعوة، قال الله: ﴿ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ﴾ [سورة الجن، آية: ١٨].

وأما المتأخرون رحمهم الله، فكتبهم عندنا، فنعمل بما وافق النص منها، وما لا يوافق النص، لا نعمل به »[٣].

والإمام يقول بالعذر بالجهل في بعض حالات الشرك، كما نص على ذلك بقوله: «وأما الكذب والبهتان، فمثل قولهم: إنا نكفر بالعموم، ونوجب الهجرة إلينا على من قدر على إظهار دينه، وإنا نكفر من لم يكفر، ومن لم يقاتل، ومثل هذا وأضعاف أضعافه، فكل هذا من الكذب والبهتان، الذي يصدون به الناس عن

(١) الدرر السنية (١/٩٩).
(٢) رواه مسلم (١٤٥).
(٣) الدرر السنية (١/١٠٠).

دين الله ورسوله .

وإذا كنا: لا نكفر من عبد الصنم، الذي على [قبر] عبدالقادر والصنم الذي على قبر أحمد البدوي ، وأمثالهما لأجل جهلهم وعدم من ينبههم ، فكيف نكفر من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا، أو لم يكفر ويقاتل ﴿ سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾ »[سورة النور، آية: ١٦] [1].

وتأكيدا منه أنه لا يكفر إلا بمقتضى الدليل قال : « وأما التكفير فأنا أكفر من عرف دليل الرسول ﷺ، ثم بعدما عرف، سبَّه ونهى الناس عنه، وعادى من فعله فهذا هو الذي أكفره، وأكثر الأمة -ولله الحمد- ليسوا كذلك.

وأما القتال: فلم نقاتل أحداً إلاّ دون النفس ، والحرمة ؛ فإنا نقاتل على سبيل المقابلة ﴿ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ﴾ [سورة الشورى، آية: ٤٠] وكذلك من جاهر بسبِّ دين الرسول، بعدما عرفه، والسلام » [2].

وفي الكلام السابق نفى الإمام الكفر عن أكثر الأمة بصريح العبارة ، وهذا يبطل دعوى الخصوم أنه يكفر عامة المسلمين .

وقال الإمام في رده لمزاعم بعضهم: « وكذلك تمويهه على الطغام بأن ابن عبدالوهاب يقول : الذي ما يدخل تحت طاعتي كافر، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم ، بل نشهد الله على ما يعلمه من قلوبنا ، بأن من عمل بالتوحيد ، وتبرأ من الشرك وأهله ، فهو المسلم في أي زمان وأي مكان» [3].

وفي رده على فرية الخصوم في زعمهم بأن الشيخ وأتباعه يكفرون بالذنوب كما

---

(١) الدرر السنية (١/١٠٢-١٠٤).

(٢) الدرر السنية (١/٨٣).

(٣) الدرر السنية (١٠/١٢٨).

يفعل الخوارج قال: « والمسألة الأخرى: يذكر لنا من أعداء الإسلام ، من يذكر أنا نكفر بالذنوب ، مثل التتن ، وشرب الخمر ، والزنا أو غير ذلك من كبائر الذنوب ؛ فنبرأ إلى الله من هذه المقالة ، بل الذي نحن نقول: الذنوب فيها الحدود ، ومعلقة بالمشيئة ، إن شاء الله عفا ، وإن شاء عذب عليها» [1].

وللشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن كلام مفصَّل يرد تهمة التكفير عن إمام الدعوة وأتباعها، في رسالته لبعض المتشددين ، ينكر عليهم هذا المسلك الخطير (التكفير) ويتبرأ من هذا المنهج :

قال: « وقد رأيت سنة أربع وستين [2] ، رجلين من أشباهكم المارقين بالأحساء قد اعتزلا الجمعة ، والجماعة وكفرا من في تلك البلاد من المسلمين ، وحجتهم من جنس حجتكم يقولون : أهل الأحساء يجالسون ابن فيروز ، ويخالطونه هو وأمثاله ممن لم يكفر بالطاغوت ولم يصرح بتكفير جده ، الذي رد دعوة الشيخ محمد ولم يقبلها وعاداها ، قالا: ومن لم يصرح بكفره فهو كافر بالله، لم يكفر بالطاغوت ومن جالسه فهو مثله ؛ ورتبوا على هاتين المقدمتين الكاذبتين الضالتين ما يترتب على الردة الصريحة ، من الأحكام حتى تركوا رد السلام ، فرفع إلي أمرهم ، فأحضرتهم وتهددتهم وأغلظت لهم القول ؛ فزعموا أولاً: أنهم على عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأن رسائله عندهم فكشفت شبهتهم وأدحضت ضلالتهم بما حضرني في المجلس ، وأخبرتهم ببراءة الشيخ، من هذا المعتقد والمذهب ، وأنه لا يكفر إلا بما أجمع المسلمون على تكفير فاعله ، من الشرك الأكبر، والكفر بآيات الله ورسوله أو بشيء

---

(١) الدرر السنية (١٠/١٢٩).

(٢) يقصد سنة (١٢٦٤هـ).

منها، بعد قيام الحجة ، وبلوغها المعتبر ، كتكفير من عبد الصالحين ودعاهم مع الله، وجعلهم أنداداً له فيما يستحقه على خلقه من العبادات والإلهية، وهذا مجمع عليه أهل العلم والإيمان ، وكل طائفة من أهل المذاهب المقلدة، يفردون هذه المسألة بباب عظيم، يذكرون فيه حكمها وما يوجب الردة ويقتضيها وينصون على الشرك، وقد أفرد ابن حجر، هذه المسألة بكتاب سماه: الإعلام بقواطع الإسلام »[1].

ثالثاً : الزعم بأن الإمام وأتباعه خوارج :

من الفتن التي ابتليت بها الأمة الإسلامية ما كان من تلك الفرقة التي خرجت على المسلمين ، ترفض أئمتهم وتكفرهم وتستحل دماءَهم ، وكان للخوارج أثر بالغ في تاريخ الأمة، تمثل في تفريق جمعها ، وإشعال القتال بين المسلمين .

وقد زعم بعض الناس أن الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوة خارجية، وأن منهج الإمام وأتباعه كمنهج الخوارج ، ومما لا شك فيه أن المنهج الذي سلكه الإمام وأتباعه يخالف ما كان عليه الخوارج، وأقوال الإمام وأتباعه في نقد الخوارج ظاهرة جلية ، ومن ذلك ما قاله أبناء الإمام محمد بن عبدالوهاب ، وحمد بن ناصر بن معمر ، لما سئلوا : هل عندكم: أنه ما يلبث موحد في النار، أم لا؟ (أي كما تزعم الخوارج والمعتزلة).

أجابوا بقولهم : « الذي نعتقده ديناً، ونرضاه لإخواننا المسلمين مذهباً، أن الله تبارك وتعالى لا يخلد أحداً فيها من أهل التوحيد ، كما تظاهرت عليه الأدلة، من الكتاب والسنة وإجماع الأمة، .... ، إلى أن قالوا : وهذا هو مذهب أهل السنة والجماعة، من أصحاب رسول الله ﷺ ومن اتبعهم بإحسان، من سلف الأمة وأئمتها ، ولا

(١) الدرر السنية (٣/٢٠ ، ٢١).

يخالف في ذلك إلا الخوارج ، والمعتزلة القائلون بتخليد أهل الكبائر في النار »[1].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن الإمام محمد بن عبدالوهاب : « وأما أهل هذه الدعوة الإسلامية[2]، التي أظهرها الله بنجد ، وانتشرت واعترف بصحتها كثير من العلماء والعقلاء ، وأدحض الله حجة من نازعهم بالشهادة ، فهم بحمد الله أبعد الناس عن مشابهة الخوارج وغيرهم من أهل البدع ، ودينهم هو الحق، يدعون إلى ما بعث الله به رسله، من إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له ، وينهون عن دعوة الأموات والغائبين ، وطلب الشفاعة منهم ».

وهم يحذِّرون من الخوارج ومن بدعهم ويعلنون مخالفتهم كما جاء في رسالة الإمام فيصل بن تركي إلى راشد بن عيسى في البحرين التي كتبها الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن ومما قاله : « أما أهل البدع فمنهم الخوارج ، الذين خرجوا على أمير المؤمنين ، علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقاتلوه ؛ واستباحوا دماء المسلمين ، وأموالهم متأولين في ذلك ، وأشهر أقوالهم تكفيرهم بما دون الشرك من الذنوب ، فهم يكفرون أهل الكبائر، والمذنبين من هذه الأمة ؛ وقد قاتلهم علي بن أبي طالب رضي الله عنه ومن معه من أصحاب رسول الله ﷺ ، وصحت فيهم الأحاديث »[3].

وقد أنكر الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن على بعض الغلاة المنتسبين للدعوة فقال: « وقد بلغنا عنكم نحو من هذا، وخضتم في مسائل من هذا الباب، كالكلام في الموالاة والمعاداة والمصالحة والمكاتبة، وبذل الأموال والهدايا، ونحو ذلك من مقالة أهل الشرك بالله والضلالات ، والحكم بغير ما أنزل الله عند البوادي

(١) الدرر السنية (١/١٩٤).

(٢) هي دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب.

(٣) الدرر السنية (١/٤٨٩).

ونحوهم من الجفـاة ؛ لا يتكلم فيها إلا العلماء من ذوي الألباب ، ومن رزق الفهم عن الله ، وأوتي الحكمة وفصل الخطاب»[1].

وقال : « وأما التكفير بهذه الأمور التي ظننتموها ، من مكفرات أهل الإسلام فهذا مذهب الحرورية ، المارقين الخارجين على علي بن أبي طالب أمير المؤمنين ومن معه من الصحابة »[2].

أما فرية أن سيماهم التحليق كما هي سمة الخوارج فقد قال الشيخ عبدالله ابن الإمام محمد بن عبدالوهاب راداً لهذه الفرية : « أما البحث عن حلق شعر الرأس ، وأن بعض البوادي الذين دخلوا في ديننا ، قاتلوا من لم يحلق رأسه ، وقتلوا بسبب الحلق خاصة ، وأن من لم يحلق رأسه صار مرتداً.

فالجواب : أن هذا كذب وافتراء علينا ، ولا يفعل هذا من يؤمن بالله واليوم الآخر ، فإن الكفر والردة لا تكون إلا بإنكار ما علم بالضرورة من دين الإسلام ، وأنواع الكفر والردة من الأقوال والأفعال معلومة عند أهل العلم ، وليس عدم الحلق منها ، بل ولم نقل إن الحلق مسنون ، فضلاً عن أن يكون واجباً ، فضلا عن أن يكون تركه ردة عن الإسلام»[3].

وقال الشوكاني لما بلغته بعض المفتريات والشائعات عن الإمام عبدالعزيز ابن سعود وعن الإمام محمد بن عبدالوهاب : « بعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج ، وما أظن ذلك صحيحاً ، فإن صاحب نجد وجميع أتباعه يعملون بما

(١) الدرر السنية (٤٦٨/١ ، ٤٦٩).

(٢) الدرر السنية (٤٦٨/١ ، ٤٦٩).

(٣) الدرر السنية (٢٧٥/١٠).

تعلموه من محمد بن عبدالوهاب »[1].

رابعاً : دعوى أن منشأ الدعوة قرن الشيطان :

مما أثاره خصوم الدعوة دعوى أن نجد الجزيرة العربية هي المقصودة في الحديث الذي قال فيه النبي ﷺ : "اللهم بارك لنا في شامنا اللهم بارك لنا في يمننا ، فقال الصحابة : يارسول الله وفي نجدنا ، قال : هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان "[2].

وقد ذكر العلماء من الصحابة والتابعين وأئمة السلف وغيرهم من أهل اللغة والمعاجم أن المقصود بالمشرق ونجد في الحديث نجد العراق ، وبيَّنوا كذلك أن الذم ليس لكل من سكن نجداً والمشرق ، كما لا يلزم من ذم مكان الذم المطلق له في كل الأحوال والأزمنة.

والعراق نفسه وهو الذي ورد فيه الذم ، لا يعني ذلك أنه لا خير فيه مطلقاً ، ولا أن أهله مذمومون ، وأن ما خرج منه من العلم والصلاح والخير مردود ، إنما تخرج منه الفتن أكثر من غيره ، من قِبَل أهل الأهواء والفساد لا أهل الصلاح فكثير من أهل العراق هم من أئمة الإسلام وقادته ، وعلمائه وخرج منه خير كثير للإسلام والمسلمين في دينهم ودنياهم .

وخرجت من العراق دعوات إصلاحية كبرى ودعاة مهتدون كالإمام أبي حنيفة والإمام أحمد ، فهل نرد مذهب كل من هذين الإمامين وأمثالهما لمجرد أنها صدرت من موطن الفتن وقرن الشيطان ! ، فخبر النبي ﷺ هذا وأمثاله لا يتضمن رد الحق

(١) البدر الطالع (٥٢٦).

(٢) رواه البخاري (٧٠٩٤)، والترمذي (٣٩٥٣)، وابن حبان (٧٣٠١)، وأحمد (٥٩٨٧).

الذي يأتي من جهة ما ورد شيء من أحوالها.

وكذلك نجد وسط شبه الجزيرة – لو فرضنا جدلاً أنها معنية بالحديث – فلا يعني ذلك أنها لا يصدر عنها ولا عن أهلها خير ولا صلاح، وأنها لا تنصر التوحيد والسنة.

وعلى كل فنجد المقصودة في أحاديث النبي ﷺ تلك هي نجد العراق وهي المقصودة بالمشرق بالنسبة للمدينة النبوية، كما ذكر هذا عدد من العلماء، كابن عبدالبر حيث يقول: دعاؤه ﷺ للشام يعني لأهلها، كتوقيته لأهل الشام الجحفة ولأهل اليمن يلملم علما منه بأن الشام سينتقل إليها الإسلام وكذلك وقت لأهل نجد قرنا، يعني علما منه بأن العراق ستكون كذلك، وهذا من أعلام نبوته ﷺ[(1)].

وقد بيّن الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن أن المراد بالمشرق ونجد الذي ورد ذمه في الحديث هو العراق فقال: « إن المراد بالمشرق ونجد في هذا الحديث وأمثاله هو العراق؛ لأنه يحاذي المدينة من جهة الشرق، يوضحه أن في بعض طرق هذا الحديث: « وأشار إلى العراق » قال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة، كان نجده بادية الشام ونواحيها فهي مشرق أهل المدينة، وأصل نجد ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور فإنه ما انخفض منها، وقال الداودي: إن نجداً من ناحية العراق، ذكر هذا الحافظ ابن حجر[(2)]، ويشهد له ما في مسلم عن ابن عمر قال: يا أهل العراق ما أسألكم عن الصغيرة وأركبكم للكبيرة، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن الفتنة تجيء من هاهنا، وأومئ بيده إلى المشرق[(3)]، فظهر أن هذا الحديث خاص لأهل

(1) التمهيد ٢٧٩/١.

(2) انظر فتح الباري ٤٦/١٣ .

(3) رواه مسلم (٧٢٩٧).

العراق، لأن النبي ﷺ فسَّر المراد بالإشارة الحسية وقد جاء صريحاً في « المعجم الكبير »[(1)] للطبراني النص على أنها العراق. وقول ابن عمر وأهل اللغة وشهادة الحال كل هذا يعين المراد...»[(2)].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن كذلك مبيناً أن الذم لا يلزم أن يقع على المحل إنما على الحال: « الذم إنما يقع في الحقيقة على الحال لا على المحل، والأحاديث التي وردت في ذم نجد كقوله ﷺ: « اللهم بارك لنا في يمننا، اللهم بارك لنا في شامنا » قالوا وفي نجدنا قال: « هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان »[(3)]... قيل إنه أراد نجد العراق؛ لأن في بعض ألفاظه: ذكر المشرق، والعراق شرقي المدينة، والواقع يشهد له، لا نجد الحجاز، ذكره العلماء في شرح هذا الحديث، فقد جرى على العراق من الملاحم والفتن، ما لم يجر في نجد الحجاز، يعرف ذلك من له اطلاع على السير والتاريخ، كخروج الخوارج بها، وكمقتل الحسين، وفتنة ابن الأشعث، وفتنة المختار وقد ادعى النبوة، وقتال بني أمية لمصعب وقتله، وما جرى في ولاية الحجاج بن يوسف من القتال، وسفك الدماء وغير ذلك مما يطول عده.

وعلى كل حال فالذم إنما يكون في حال دون حال، ووقت دون وقت، بحسب حال الساكن؛ لأن الذم إنما يكون للحال دون المحل، وإن كانت الأماكن تتفاضل، وقد تقع المداولة فيها، فإن الله يداول بين خلقه حتى في البقاع، فمحل المعصية في

(1) رقم (١٣٤٢٢) بلفظ "عراقنا) بدلاً من "نجدنا"، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٨/٣) رواه الطبراني في الكبير ورجاله ثقات.

(2) منهاج التأسيس والتقديس في الرد على ابن جرجيس، ص(٦٢)، وانظر: رسالة أكمل البيان في شرح حديث نجد قرن الشيطان، ص(٤٣)، ودعاوى المناوئين (١٨٦).

(3) رواه البخاري (٧٠٩٤)، والترمذي (٣٩٥٣)، وابن حبان (٧٣٠١)، وأحمد (٥٩٨٧).

زمن قد يكون محل طاعة في زمن آخر، وبالعكس »[1].

وذكر الشيخ السهسواني في كتاب « صيانة الإنسان » الروايات في شأن نجد وأنها قرن الشيطان، وساق أقوال العلماء في ذلك ، ومرادهم بنجد في الأحاديث ، ثم قال: « ولا يخفى عليك أن لفظاً من ألفاظ هذا الحديث، لا يقتضي أن كل من يولد في المشرق يكون مصداقاً لهذا الحديث حتى يثبت ما ادعاه المؤلف ».

ثم قال: « ومجرد وقوع الفتنة لا يستلزم ذم كل من يسكنه، بدليل ما رواه الشيخان عن أسامة ابن زيد قال: أشرف النبي ﷺ على أطم من آطام المدينة، فقال: «هل ترون ما أرى؟ » قالوا: لا قال: « فإني لأرى الفتن تقع من خلال بيوتكم كوقع المطر »[2][3].

وذكر المؤلف أحاديث أخرى، ثم قال: « وهذه الأحاديث وغيرها مما ورد في هذا الباب دالة على وقوع الفتن في المدينة النبوية، فلو كان وقوع الفتن في موضع مستلزماً لذم ساكنيه لزم ذم سكان المدينة كلهم أجمعين ، وهذا لا يقول به أحد ، على أن مكة والمدينة كانتا في زمن موضع الشرك والكفر، وأي فتنة أكبر منهما؟ ، بل وما من بلدٍ أو قريةٍ إلا وقد كانت في زمن أو ستصير في زمان موضع الفتنة، فكيف يجتريء مؤمن على ذم جميع مسلمي الدنيا؟ ، وإنما مناط ذم شخص معين كونه مصدراً للفتن من الكفر والشرك والبدع ».

ثم ذكر السهسواني الروايات التي تثبت أن العراق هو المراد في أحاديث الفتن

(١) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٢٦٤).

(٢) رواه البخاري رقم (١٨٧٨) كتاب فضائل المدينة: باب آطام المدينة، ومسلم رقم (٧٢٤٥) كتاب الفتن وأشراط الساعة: باب نزول الفتن كمواقع القطر.

(٣) صيانة الإنسان، ص(٤٩١).

في نجد ، وأنه المشرق بالنسبة للمدينة المنورة[1].

خامساً : لمزهم في أنهم من بلاد مسيلمة الكذاب :

لمز بعض الناس الإمام وأتباعه بأنهم من ديار مسيلمة الكذاب مدعي النبوة ، وقد أشار الشيخ عبدالرحمن بن حسن لهذه المسألة وقال: « قد أفنى الله كل من حضر مسيلمة في القرن الأول ، ولم يبق بنجد من يصدق مسيلمة الكذاب ، بل من كان في أواخر عهد الصحابة ﵃ ومن بعدهم بنجد يكفرون مسيلمة ويكذبونه فلم يبق بنجد من فتنة مسيلمة لا عين ولا أثر ،فلو ذم نجد بمسيلمة بعد زواله وزوال من يصده لذم اليمن بخروج الأسود العنسي ودعواه النبوة ، وما ضر المدينة سكنى اليهود فيها، وقد صارت مهاجر رسول الله ﷺ وأصحابه ومعقل الإسلام، وما ذمت مكة بتكذيب أهلها الرسول ﷺ وشدة عداوتهم له ، بل هي أحب أرض الله إليه، فإذا كان الأمر كذلك فأرض اليمامة لم تعص الله وإنما ضرت المعصية ساكنيها [آنذاك] بتصديقهم كذابهم ، وما طالت مدتهم على ذلك الكفر بحمد الله ، فطهر الله تلك البلاد منهم ، ومن سلم منهم من القتل دخل في الإسلام، فصارت بلادهم بلاد إسلام، بنيت فيها المساجد، وأقيمت فيها الشرائع، وعبد الله فيها في عهد الصحابة ﵃ وبعدهم»[2].

(١) المرجع السابق، ص(٤٩٢).

(٢) مجموعة الرسائل (٤/ ٢٦٥).

سادساً : فرية منع الحج ونهب خزائن الحجرة النّبوية وانتهاك حرمة المقدسات :

لما تمكنت الدولة السعودية الأولى من دخول مكة ، وآل أمر الحكم فيها إليها ، زعم خصوم الدعوة أنها منعت الحج ، والحق أن الحج لم يمنع إنما مُنعت ممارسة المنكرات والبدع ، كالمحمل ومُنعت البدع والمحدثات الأخرى في الدين كالمزارات والمشاهد والقباب ، ولما منعت هذه البدع من قبل الدولة السعودية أكثر من مرة قالوا منع الحج ، لأنها عندهم هي الحج ، فلا رغبة عندهم لقصد الحج بدون تلك البدع التي نشأوا عليها ، وغُذي هذا الشعور لديهم من قبل علماء السوء والكبراء المنتفعين من هذه الأوضاع البدعية.

وبدراسة تاريخية لما جرى للحجاز بعد ظهور الدعوة ، يخرج المنصف بعدد من النتائج ، ومن أبرزها :

١- أن الدولة السعودية حين حكمت الحجاز في المرحلتين الأولى والثانية وحتى الآن لم تمنع الناس من الحج ولم تضيق عليهم، بل على العكس من ذلك ؛ إذ تم تأمين السبل وتخفيف المظالم والضرائب التي تثقل كاهل أهل الحجاز، ووفرت المؤن والخدمات للحجاج بشكل ليس له مثيل .

٢- في تلك الأثناء التي انقطع فيها بعض الحجاج عن الحج بسبب الدعاية المغرضة ، حج آخرون جماعات (كالمغاربة) وأفرادا من سائر البلاد الإسلامية ، وشهدوا بأنه لم يحصل لهم شئ من المضايقات ، ولم يمنع أحد من الحج ، بل رأوا استتباب الأمن وظهور السنة ، واحترام مشاعر الحج وشعائره ، وتم إلغاء الضرائب ، فانقطعت مصالح المنتفعين من ظهور البدع ومن سوء الأحوال، وهم الذين أشاعوا أن الدولة السعودية منعت الحج .

٣- أن الذين أوقفوا مسيرات الحج رؤوس القوم وشيوخ البدع ، وبعض قادة قوافل الحج الذين لهم مصالح في استمرار البدع والمظالم والضرائب غالباً.

ومما يؤيد هذا شهادة مؤرخ محايد بهذا الصدد وهو الجبرتي حيث قال: « وفي هذه الأيام[1] أيضاً وصلت الأخبار من الديار الحجازية بمسالمة الشريف غالب للوهابيين ، وذلك لشدة ما حصل لهم من المضايقة الشديدة وقطع الجالب عنهم من كل ناحية ، حتى وصل ثمن الأردب المصري من الأرز خمسمائة ريال ، والأردب البر ثلثمائة وعشرة ، وقس على ذلك السمن والعسل وغير ذلك ، فلم يسع الشريف إلا مسالمتهم والدخول في طاعتهم وسلوك طريقتهم، وأخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة ، وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها ، وشرب الأراجيل بالتنباك في المسعى وبين الصفا والمروة ، وبالملازمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة وترك لبس الحرير والمقصبات ، وإبطال المكوس والمظالم ، وكانوا خرجوا عن الحدود في ذلك ، حتى إن الميت يأخذون عليه خمسة فرانسة وعشرة بحسب حاله ، وإن لم يدفع أهله القدر الذي يتقرر عليه فلا يقدرون على رفعه ودفنه ، ولا يتقرب إليه الغاسل ليغسله حتى يأتيه الإذن، وغير ذلك من البدع والمكوس، والمظالم التي أحدثوها على المبيعات والمشتروات على البائع والمشتري ، ومصادرات الناس في أموالهم ودورهم ، فيكون الشخص من سائر الناس جالساً بداره فما يشعر على حين غفلة منه إلا والأعوان يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها، ويقولون إن سيد الجميع محتاج إليها ، فإما أن يخرج منها جملة وتصير من

(١) أول سنة (١٢٢١هـ) الجبرتي (١١٦/٣).

أملاك الشريف، وإما أن يصالح عليها بمقدار ثمنها أو أقل أو أكثر، فعاهده[1] على ترك ذلك كله، واتباع ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز، من إخلاص التوحيد لله وحده، واتباع سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، وما كان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والتابعون والأئمة المجتهدون إلى آخر القرن الثالث، وترك ما حدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد والمهمات، وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والتصاوير والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل والمناداة والطواف والنذور والذبح والقربان وعمل الأعياد والمواسم لها، واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال، وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية، التي بعثت الرسل إلى مقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله فعاهده على منع ذلك كله، وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة، لأنها من الأمور المحدثة التي لم تكن في عهده، بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية، وإقامة الحجة عليهم بالأدلة القطعية التي لا تقبل التأويل من الكتاب والسنة وإذعانهم لذلك، فعند ذلك أمنت السبل، وسلكت الطرق بين مكة والمدينة، وبين مكة وجدة والطائف، وانحلت الأسعار، وكثر وجود المطعومات، وما يجلبه عربان الشرق إلى الحرمين من الغلال والأغنام والأسمان والأعسال، حتى بيع الأردب من الحنطة بأربع ريالات، واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار، وإذا نوقش في ذلك يقول هؤلاء مشركون وإنا آخذ من المشركين لا من الموحدين[2] »[3].

(١) يقصد أن الشريف غالب عاهد الإمام سعود بن عبدالعزيز.
(٢) هذه سخرية ولمز للدعوة من الشريف غالب، وقد خذله الله.
(٣) عجائب الآثار للجبرتي (١١٧/٣).

وقال: « وفيه[1]، ورد الخبر بأن ركب الحاج الشامي رجع من منزلة هدية ولم يحج في هذا العام، وذلك أنه لما وصل إلى المنزلة المذكورة أرسل الوهابي إلى عبدالله باشا أمير الحاج يقول له: لا تأت إلا على الشرط الذي شرطناه عليك في العام الماضي، وهو أن يأتي بدون المحمل وما يصحبهم من الطبل والزمر والأسلحة وكل ما كان مخالفاً للشرع، فلما سمعوا ذلك رجعوا من غير حج ولم يتركوا مناكيرهم »[2].

وقال في حوادث سنة (١٢٢٣هـ): « ومنها انقطاع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي[3] الناس عن الحج، والحال ليس كذلك فإنه لم يمنع أحداً يأتي الحج على الطريق المشروعة، وإنما يمنع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لا يجيزها الشرع، مثل المحمل والطبل والزمر وحمل الأسلحة، وقد وصل طائفة من حجاج المغاربة وحجوا ورجعوا في هذا العام وما قبله، ولم يتعرض لهم أحد بشيء »[4].

يقول الدكتور عجيل النشمي: « الحق الذي ينبغي أن يكشف أن الأمير سعوداً لم يمنع أحداً من حج بيت الله الحرام، وكل ما حدث من ذلك إنما هي ملابسات اقتضتها الظروف السياسية والعسكرية، وكان لها ما يبررها فعلاً، ولنثبت ذلك بتتبع هذا المنع كما أوردته ثقات المصادر» ، ثم قال: « يلاحظ هنا أنه منذ أن دخل سعود مكة في حجته الرابعة عام (١٢٢٢هـ)، لم يحج أحد من عواصم البلاد الإسلامية الكبيرة من استانبول أو الشام أو مصر أو العراق، والتعبير بأنه لم يحج أحد يشير إلى أنه

(١) يعني أول سنة (١٢٢٢هـ).
(٢) عجائب الآثار للجبرتي (١٨٨/٣).
(٣) يقصد الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد.
(٤) عجائب الآثار للجبرتي (٢٤٧/٣).

لم ترسل تلك الدولة حملات الحج الرسمية المعتادة ، وظل هذا الإحجام عن أداء فريضة الحج حتى (١٢٢٦هـ) ، وهي السنة التي جهزت فيها دولة الخلافة محمد علي باشا لحرب الحركة الوهابية ، وهذا يعني أن خمس سنوات مرت دون أن يحج أحد من تلك الأقطار.

وليس هناك ما يشير إلى أن الأمير سعوداً هو الذي حظر على تلك العواصم من أن تحج ، بل إن السبل في أيامه كانت أكثر أمناً من أي وقت مضى ، وليس شرط الأمان الذي كان يأخذه أهالي المغرب كما ذكرنا شرطاً أو بنداً على الحج يمنع تلك الأقطار من الحج ، فإن الذي يحتاجه –على ما نرجح– هم الحجاج الشراذم أو الجماعات الصغيرة ، فإعطاؤه الأمان حينئذ زيادة في تمكينها من أداء الحج والعودة سالمة ، عبر تلك المسافات الشاسعة التي كان مرورها فيه قبل ذلك يحمل المخاطر الجسام ، فالأمان والحال هذه ميزة لا قيد.

بل إن الأمـير سعوداً نفسه تعرض لهذه القضية لحساسيتها – وهذا من بعد نظره – فذكرها في رسالته إلى السلطان سليم ، و بين أنه سيمنع الحاج القادم من الشام أو مصر إذا كان مصطحباً مظاهر الإخلال بمشاعر الحج وحرمتها ، ومن اصطحاب الطبول والمزامير وما أشبهها ، و علل ذلك بأنه ليس من الدين في شيء ، ولم يقل أنه سيمنعهم لمجرد المنع»[١].

أما دعوى نهب خزائن الحجرة النبوية ، فإنه حينما تمكنت الدولة السعودية الأولى من المدينة ، أزالت المنكرات والبدع والمحدثات ومنها ما يفعله الجهلة وأهل

(١) إعادة ترتيب أوراق سقوط الخلافة (مقالة) الحلقة (٥٣) مجلة المجتمع عدد (٥١٧) ص(٣٧-٣٩).

البدع من إلقاء النفائس في الحجرة ، فأخذها الإمام سعود بن عبدالعزيز وعرض أمـــرها على العلماء ، فأفتوه بصرفها في مصالح المسلمين ، و هذا مما يجب أن يحمد له ، لكن أهل البدع صوروا ذلك على أنه من الكبائر العظيمة.

يقول الجبرتي في ذلك: « يذكرون أن الوهابي استولى على ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر ونقلها وأخذها فيرون أن أخذه لذلك من الكبائر العظام».

ثم قال الجبرتي مبيناً أن أصل وجود الذخائر في الحجرة من البدع والخرافات :

«وهذه الأشياء أرسلها ووضعها سخاف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم ؛ إما حرصاً على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم ، أو لنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها ، فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء ، فلما تقادمت عليها الأزمنة وتوالت عليها السنين والأعوام الكثيرة وهي في الزيادة ، فارتدت معنى لا حقيقة ، وارتسم في الأذهان حرمة تناولها وأنها صارت مالاً للنبي ﷺ فلا يجوز لأحد أخذها ولا إنفاقها ، والنبي عليه الصلاة والسلام منزه عن ذلك ، ولم يدخر شيئاً من عرض الدنيا في حياته ، وقد أعطاه الله الشرف الأعلى ، وهو الدعوة إلى الله تعالى والنبوة والكتاب ، واختار أن يكون نبياً عبداً ، ولم يختر أن يكون نبياً ملكاً ، وثبت في الصحيحين وغيرهما أنه قال: « اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً»[١].

وقال عن ملوك زمانه: « احتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والطلبات والاستيلاء على الأموال بغير حق حتى أفقروا تجارهم

(١) رواه البخاري رقم (٦٤٦٠) كتاب الرقاق: باب كيف كان عيش النبي ﷺ وأصحابه ، ومسلم رقم (٧٤٤١) كتاب الزهد: باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر.

ورعاياهم ، ولم يأخذوا من هذه المدخرات شيئاً ، بل ربما كان عندهم أو عند خونداتهم جوهر نفيس من بقايا المدخرات فيرسلونه هدية إلى الحجرة ولا ينتفعون به في مهماتهم ، فضلاً عن إعطائه لمستحقه من المحتاجين ، وإذا صار في ذلك المكان لا ينتفع به أحد إلا ما يختلسه العبيد الخصيون الذين يقال لهم أغوات الحرم ، والفقراء من أولاد الرسول وأهل العلم والمحتاجون وأبناء السبيل يموتون جوعاً ، وهذه الذخائر محجور عليها وممنوعون منها ، إلى أن حضر الوهابي واستولى على المدينة وأخذ تلك الذخائر »[1] .

والعجيب أن غير المسلمين كان بعضهم أكثر إنصافاً في ذلك ، فقد قال الراهب هوجس : « لم يصب المواطنين أي أذى لأجل قداسة الحرم ، وبعد أن تولى الإمارة أهل نجد عمرت المساجد ، حتى أن هذا المنظر من الزهد والطاعة لم ير له مثيل في هذا البلد الأمين بعد عهد النبوة »[2] .

وكتب معاصر أوروبي آخر وهو برك هارت : « ما زال أهل مكة يذكرون اسم سعود بالشكر والرضى حتى الآن ، وما زالت معاملة الجنود الطيبة تذكر بثناء ومدح بالخصوص معاملتهم في أيام الحج والزيارات ، ولم يستطيعوا أن ينسوا تلك المعاملة العادلة التي شاهدوها من جيوشه»[3] .

وقضى على تعدد الجماعات في الصلوات ، وبدأ الناس يصلون وراء إمام واحد وبدأ علماء المذاهب المختلفة يصلون بالناس في أوقات مختلفة»[4] .

---

(١) عجائب الآثار للجبرتي (٣/٢٤٧-٢٥٠).

(٢) قاموس الإسلام (Diectionory of Islam) ص(٦٦٠).

(٣) برك هارت (٢/١٤٩).

(٤) الدعوة الوهابية وأثرها في الفكر الإسلامي الحديث (٨٨ ، ٨٩).

سابعاً : دعوى أن دعوة محمد بن عبدالوهاب مذهب خامس :

ساد عند كثير من خصوم الدعوة وغير العالمين بحقيقتها أن الإمام محمد بن عبدالوهاب جاء بمذهب خامس ، أي أنه خرج عن مذاهب الأئمة الأربعة ، ومضمون هذا أن الإمام جاء بمذهب مبتدع في الدين.

وواقع الحال أن الإمام محمد بن عبدالوهاب وعلماء الدعوة صرحوا بأنهم على مذهب الإمام أحمد في الفروع من دون أن يتعصبو له ، ويرون فضل الأئمة الثلاثة ويفيدون من علمهم ، بل كثيراً ما يرجحون أقوالا للمذاهب الثلاثة على بعض اجتهادات الحنابلة ، ومطلبهم في هذا الدليل وقوة الاستدلال ، هذا من حيث الفروع والمسائل الاجتهادية.

أما في العقيدة وأصول الدين فإن الإمام محمد بن عبدالوهاب وأتباعه سائرون على منهج الأئمة الأربعة ، وعقيدته وأتباعه توافق عقيدتهم ؛ لأنها السنة التي كان عليها رسول الله ﷺ وصحابته والتابعون والسلف الصالح.

وهذه دعوة الإمام وكتبه ورسائله وواقع حاله يشهد بذلك ، وكذلك واقع علماء الدعوة وأتباعها إلى اليوم يشهد بذلك ، فهم في العقيدة والأصول على مذهب السلف بما فيهم الأئمة الأربعة ، وهم في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل.

و لما زعم خصوم الإمام محمد بن عبدالوهاب وذكروا عنه بعض المفتريات التي منها أنه جاء بمذهب خامس، وأنه أبطل المذاهب الأربعة ؛ أنكر ذلك ونفاه وقال ﴿ سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ ﴾[1] »[1] .

---

(١) سورة النور، آية (١٦).

وأكد التزامه بما عليه الأئمة الأربعة ، فقال مخاطباً عامة المسلمين ، مفنداً المزاعم التي أثارها أهل البدع ضده : « عقيدتي وديني الذي أدين به مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين ، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم إلى يوم القيامة »[2] .

ثامناً : دعوى الخروج على الخلافة :

إن الدارس لحال نجـــد يلحظ أنها منذ القرن الثالث الهجري كانت تتنازعها سلطات مختلفة ، فصلتها عن التبعية المباشرة لدولة الخلافة ، العباسية ثم العثمانية ، فمنذ سنة (٢٥١هـ) تقريباً استقلت دولة بني الأخيضر الزيدية بالحجاز عن الخلافة العباسية ، وضمت إليها نجدا واليمامة ، ثم خضعت نجد واليمامة لنفوذ القرامطة الباطنية إلى منتصف القرن الخامس الهجري.

وبعدها بقيت هذه الديار مهملة تتنازع عليها الدويلات ، وفيها زعامات ورئاسات محلية إلى أن جاء الأتراك إلى الأحساء واليمن والحجاز فكانت نجد تحت إشراف الولاة الأتراك في الأحساء أو الحجاز ، وفي كل الأحوال كان هذا الإشراف غير مباشر ، بل هو إلى الشكلي والرمزي أقرب منه إلى الفعلي.

ومع ذلك فقد انقطع هذا الإشراف كلية حين استقل زعيم بني خالد براك بن غرير بالأحساء منذ عام (١٠٨٠هـ).

وحين بدأ الإمام بدعوته المباركة قبيل منتصف القرن الثاني عشر كان الحكم في نجد كلها لإمارات ومشيخات صغيرة متنازعة ، ليست لها تبعية لحكومات أخرى ، إلا التبعية الرمزية لحاكم الأحساء (وهو مستقل عن الخلافة العثمانية عملياً) ، وكان

---

(١) الدرر السنية (١/ ٣٤).

(٢) الدرر السنية (١/ ٦٤، ٧٩).

كل أمير وشيخ في نجد يشعر بالاستقلالية المطلقة .

وكانت هذه الإمارات والولايات المستقلة في نجد ضعيفة ، وأهل الحل والعقد في كل بلدة ينظمون شؤونهم الداخلية وعلاقاتهم الخارجية في الحرب والسلم وفي القضاء والحسبة ، وإن كان قد يوجد في نفوس بعض الناس شيء من الولاء الرمزي للخلافة ، كالدعاء للسلطان في المنابر ونحو ذلك .

وكانت الدولة التركية لا ترى نجداً وأهلها شيئاً يستحق الاهتمام ، ولذلك لما قسمت البلاد الإسلامية التي تحت نفوذها إلى ولايات لم يكن لنجد أي ذكر، ثم لما قامت الدعوة في أول عهدها ؛ لم تأبه بها الدولة العثمانية مع العلم أن خصوم الدعوة كانوا يراسلون دولة الخلافة ويستعدونها عليها ، ويشوهون سمعتها لديها ، وقد بلغ تشويه صورة الدعوة لدى الدولة العثمانية أقصى ما يمكن تصوره من الكذب والبهتان والاستعداء.

والمتأمل لكلام الإمام في هذه المسألة يدرك أنه لم يرد الخروج على الخلافة ، ولا معارضتها بل كان يرى أن ما يقوم به من الدعوة أمر واجب شرعاً ، لا علاقة له برضى الخلافة ، وأنه لم يفتت على الخلافة في ذلك ، وأن أمير بلده العيينة وحاكمها ابن معمر ، ثم ابن سعود في الدرعية كانا يعاونانه ويؤيدانه وهما والياه وأميراه ، لاسيما إذا وضعنا في الاعتبار أن الإمام يعتقد بأصول أهل السنة والجماعة في وجوب طاعة الإمام بالمعروف ، وأنه لا يجوز الخروج عليه براً كان أو فاجراً ، وقد قرر هذا الأصل وبينه في رسائله ومؤلفاته .

وحين حدثت المواجهة الفعلية بين الدولة السعودية الأولى وبين أشراف مكة ، بعد وفاة الشيخ الإمام محمد بن عبدالوهاب (ت ١٢٠٦هـ) ، لم تكن هذه المواجهة تقصد الخروج على الخلافة ، إنما كانت لصد عدوان أشراف مكة وغيرهم في هجومهم

المسلح مرات متعددة على الدولة السعودية ورعاياها والأقاليم التابعة لها.

ولرفع الظلم الذي تعرض له النجديون من منعهم من الحج سنين طويلة ، وتعرضهم لصنوف العدوان وما يستتبع ذلك من إزالة مظاهر الشرك والبدع ونشر التوحيد والعدل والأمن الذي هو هدف شرعي للدعوة ؛ زحفت جيوش الدعوة إلى الحجـــاز حتى دخلت مكة سلماً بلا حرب ، فكان دخول مكة من قبل الأمير سعود بن عبدالعزيز سنة (١٢١٨هـ) صلحاً بغير قتال ، بل بأمان لأهل مكة وبإقرار شريف مكة عبدالمعين على إمارة مكة بعد ما هرب منها الشريف غالب إلى جدة ، وبإقرار قاضيها المعيَّن من الدولة العثمانية.

وقد أرسل الأمير سعود إلى السلطان سليم ، واعترف له بلقب السلطان ، وأخبره بما حدث من هدم أشباه الوثنية ، وإلغاء الضرائب ، ونشر التوحيد والسنة والأمن والعدل .

ولما توفي الأمير سعود بن عبدالعزيز وتولى ابنه عبدالله بن سعود، أكد للخليفة العثماني أنه يعلن الولاء للسلطان .

ولما شعرت الدولة التركية بالخطر على سلطانها لاسيما حين دخلت الدولة السعودية الحجاز وهيمنت على الأمور بجدارة ، ثارت ثائرة الأتراك وولاتهم في مصر والشام والعراق وغيرها ، ومن ثم حدثت المواجهة مع الأتراك وأتباعهم ، وصارت الدولة التركية تحارب الدعوة علناً ، وحشدت كل ما تملك لذلك ، فأرسلت إبراهيم باشا لهذا الغرض حتى قضى على الدولة السعودية الأولى ظاهراً، لكنها في الحقيقة بقيت حية في قلوب الناس وعواطفهم ولذلك نهضت سريعاً مرة أخرى.

وكانت تلك الحوادث مبرراً لبعض علماء الدعوة « بعد وفاة الإمام » أن يعدوا

ذلك نوعاً من الصد عن دين الله ، وعليه فإن الإمام محمد بن عبدالوهاب لم يكن ينزع إلى الخروج على الدولة التركية أصلاً ، ولم يلجأ إلى القتال إلا في حال الضرورة.

وكذلك حين قامت الدولة السعودية الثالثة « الحالية حرسها الله » على يد الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن ، آل سعود ، كانت الأمور سائرة على هذا الأصل ، فقد أعلن الملك عبدالعزيز أنه مقرٌّ لدولة الخلافة ناصح لها ، وأكّد ولاءه للدولة العلية في رسالته للسلطان عبدالحميد المؤرخة في ١٣٢٢/٩/١هـ ، وقد أقرت الدولة العلية للملك عبدالعزيز بسلطته على ما تحت يده[١] ، وبذلك تنتفي الشبهة ويزول الإشكال.

وعلى أي حال فقد قامت في نجد دولة ذات سيادة مستقلة وكيان شرعي في بلد ليس للخلافة عليه سلطان فعلي.

يقول الإمام في ذلك : « والأمر الثاني : أن هذا الأمر الذي أنكروا علي ، وأبغضوني وعادوني من أجله ، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن ، أو غيرهم يقول : هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله ، ولكن ما أقدر أظهره في مكاني لأجل أن الدولة (العثمانية) ما يرضون ؛ وابن عبدالوهاب أظهره ؛ لأن الحاكم في بلده ما أنكره ، بل لما عرف الحق اتبعه ، هذا كلام العلماء ، وأظنه وصلك كلامهم »[٢].

فهنا ربط المسألة بحاكم بلده ويبين ذلك قوله : « والذي يصدق كلامي هذا : أن العالم ما يقدر يظهره ، حتى من علماء الشام من يقول : هذا هو الحق ولكن لا يظهره إلا من يحارب الدولة »[٣].

---

(١) انظر: إعادة ترتيب أوراق الخلافة (مقالات) للنشمي الحلقة (٦٠) مجلة المجتمع العدد (٥٢٧)، ص(٣٨، ٣٩).

(٢) الدرر السنية (٩٠/١).

(٣) الدرر السنية (٩١/١).

وفي هذا دلالة على أنه يرى أنه في حل مما كان يخشاه بعض علماء الشام حين اعترفوا أن ما جاء به حق ، لكنهم كانوا في بلد للدولة العثمانية عليه سلطان مباشر ، وليس عندهم حاكم ينصر الدعوة .

وبالجملة فإن الدعوة كانت تراعي حق الدولة العثمانية إلى أن بدأ العدوان من الولاة التابعين للدولة العثمانية في الأحساء والحجاز ، وإلى أن دخلت الدولة العثمانية وانحازت مع خصوم الدعوة ، وأعلنت حماية الشركيات والبدع بالقوة ، وقد ناقش الدكتور عجيل النشمي هذه المسألة مناقشة وافية ومستفيضة ، ومما قاله: « لم تكن بلاد نجد والجزيرة العربية –موطن نشأة الحركة الوهابية– أسعد حالاً من بقية البلاد الإسلامية خصوصاً في القرن الثامن عشر، حين ضعفت دولة الخلافة الإسلامية ، وانشغلت بأوضاعها الداخلية ومشاكلها عن كثير من البلاد الإسلامية ، الأمر الذي أضعف سلطتها في تلك البقاع، وقعد بها دون ملاحقة ما يدور فيها من خلافات ومشاكل ، وأدت إلى كثير من الحروب الطاحنة.

ولعل من سوء حظ بلاد نجد على الخصوص ، أنها لم تلق العناية الكافية بل لم تلق أي عناية من الدولة العثمانية ، فإقليم نجد لم يخضع للدولة العثمانية ، أو بمعنى أصح لم تسع الدولة العثمانية لإخضاعه إخضاعاً تاماً ، فلم يظهر ضمن قائمة التقسيمات الإدارية التي وضعت في أوائل القرن السابع عشر ، وظل معمولاً بها حتى القرن التاسع عشر، فلم يشهد الإقليم ولاة عثمانيين يأتون إليه ولا حماية تركية تجوب خلال دياره».

وموقف الدولة العثمانية لا غبار عليه ، إذا أخذنا بالاعتبار ضعف الدولة عموماً، وعدم أهمية بلاد نجد بشكل عام، إذا قيست بأقطار أخرى أكثر أهمية منها، ولذلك حرصت دولة الخلافة أن تكون لها صوت مع أطراف نجد ، وعلى

الخصوص في الأحساء والحجاز ؛ الأحساء لموقعها الاستراتيجي العسكري ، والحجاز لموقعها الديني ، في ضمها لأقدس البقاع وقبلة المسلمين ومسجد النبي ﷺ، فهو ملتقى المسلمين في حجهم أو عمرتهم.

وكانت نجد عبارة عن دويلات أو إمارات صغيرة ، يستقل بكل إمارة أسرة أو قبيلة ، وكانت العلاقات بين تلك الإمارات تقوم على حب السيطرة ، وانتهاز الفرص لتوسيع رقعة الإمارة، فكانت الثارات والحروب مستمرة مستعرة بينهم ، وكانت أشهر تلك الأسر النجدية أسرة آل سعود في الدرعية، وآل زامل في الخرج، وآل معمر في العيينة، وأسرة دهام بن دواس في الرياض .

وتتبع كل أسرة أو بلد عدة من القرى، وكانت النزاعات والحروب تثور أيضاً بين تلك القرى والبلدات ذاتها وهذا الوضع السياسي ابتداء بموقف الدولة العثمانية وانتهاء بالدويلات النجدية القبلية، سبب بلا شك ظهور قطاع الطرق واضطراب الحياة وانتشار الفوضى والظلم، ولم يسلم من الفتك حتى الوعاظ والعلماء ، بل لم يكن نصيبهم إلا الإهانة والقتل »[1].

وقال الدكتور عجيل جاسم النشمي في مقالته : (دولة الخلافة والحركة الوهابية): « ولم يكن أحد من المسلمين الغيارى الواعين يرى أن علاج دولة الخلافة بإعلان الحرب عليها وتقطيع أوصالها ، فما هو موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب صاحب أول حركة إسلامية معاصرة لمرحلة السقوط؟ هل كان يرى عداءها... والخروج عليها... هل كان مجتهداً مخطئاً. أم كان يرى بقاءها وقام بحركته لإسنادها وتجديد

(١) إعادة ترتيب أوراق سقوط الخلافة (الوهابية أولى الحركات الإسلامية) الحلقة (٣٠) ص(٤٦) مجلة المجتمع العدد (٤٩١).

وجهها، وإعــــادتها إلى صفاء العقيـدة وســـــلامتها . هذا ما نحاول الإجابة عنه »[١] .

ثم قال : « – بعد الاستقصاء – نستطيع القول باطمئنان أن كتابات الشيخ محمد بن عبدالوهــاب ليس فيها تصريح بموقف عدائي ضد دولة الخلافــة ، وغايـــة ما يمكن أن يقع عليه نظـر الباحث تلميحات في هذا الخصوص ، لا ترقى إلى تكــوين رأي معاد لدولة الخلافـة »[٢] .

(١) المصدر السابق الحلقة (٤٤) ص(٤٢) العدد (٥٠٦).

(٢) المصدر السابق الحلقة (٤٤) ص(٤٣) العدد (٥٠٦).

الدعوة في نظر مجموعـة من المحايدين من العلماء والمفكرين والمؤرخين

لا شك أن الاقتصار على رؤية واحدة تجاه موضوع أو قضية للناس فيها أكثر من رؤية يفتقر للحيادية ، وقد اشتملت المباحث السابقة على أقوال المعارضين للدعوة المنتقدين لها ؛ ومن الإنصاف استقراء وعرض شهادات علماء ومفكرين من مختلف أرجاء العالم عن الدعوة ورأيهم فيها ، ممن أثنوا عليها وأشادوا بها ، ومن الصعوبة بمكان تتبع أقوال كل من كتب عن الدعوة وإثبات آراء جميع الناس فيها ، ولذا سأشير إلى بعض تلك الشهادات والآراء ، وسأرفق في آخر المبحث قائمة بأبرز الأسماء التي أثنت على الدعوة وأبدت إعجابها بها .

والحق أن الذين شهدوا لهذه الدعوة الإصلاحية من المسلمين من العرب والعجم أناس كثر، سواء منهم من تأثروا بمبادئ الدعوة ، أم من بقوا على اتجاهاتهم المخالفة لكنهم شهدوا بالحق، وفي هذا المبحث نماذج من تلك الشهادات :

شهادة محمد بن رشيد رضا في مقدمة كتاب « صيانة الإنسان » للسهسواني، بين فيها أنه كان متأثراً بالدعاية المضادة للدعوة، وأن عامة المسلمين كذلك، حتى اطلع على كتب علمائها حيث قال: « كنا نسمع من صغرنا أخبار الوهابية المستمدة من رسالة دحلان هذا ورسائل أمثاله فنصدقها بالتبـع لمشايخنا وآبائنا، ونصدق أن الدولة العثمانية هي حامية الدين ولأجله حاربتهم ، وحصدت شوكتهم ، وأنا لم أعلم بحقيقـة هذه الطائفة إلا بعد الهجرة إلى مصر ، والاطلاع على تاريخ الجبرتي ، وتاريخ الاستقصا في أخبار المغرب الأقصى، فعلمت منهما أنهم هم الذين كانوا على هداية الإسلام دون مقاتليهم، وأكده الاجتماع بالمطلعين على التاريخ من

أهلها ، ولاسيما تواريخ الإفرنج الذين بحثوا عن حقيقة الأمر فعلموها ، وصرحوا أن هؤلاء الناس أرادوا تجديد الإسلام وإعادته إلى ما كان عليه في الصدر الأول، إلى أن قال: إن العلامة الشيخ عبدالباسط الفاخـــوري مفتي بيروت كان ألف كتاباً في تاريخ الإسلام ذكر فيه الدعوة التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وقال إنها عين ما دعا إليه النبيون والمرسلون، ولكنه قال إن الوهابيين في عهده متشددون في الدين، وقد عجبنا له كيف تجرأ على مدحهم في عهد السلطان عبدالحميد ، ورأيت شيخنا الشيخ محمد عبده في مصر على رأيه في هداية سلفهم ، وتشدد خلفهم، وأنه لولا ذلك لكان إصلاحهم عظيماً ورجى أن يكون عاماً.

ثم قال : اطلعت على أكثر كتب الشيخ محمد بن عبدالوهاب ورسائله وفتاويه، وكتب أولاده وأحفاده ورسائلهم ، ورسائل غيرهم من علماء نجد في عهد هذه النهضة التجديدية ، فرأيت أنه لم يصل إليهم اعتراض ولا طعن فيهم إلا وأجابوا عنه، فما كان كذباً عليهم قالوا: ﴿ سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ ﴾ وما كان صحيحاً أو له أصل بينوا حقيقته وردوا عليه ، وقد طبعـــت أكثر كتبهم، وعرف الألوف من الناس أصل تلك المفتريات عنهم »[1].

شهادة علماء مكة بعد دخول الدولة السعودية الأولى للحجاز:

حين اطلع علماء مكة وغيرهم على الدعوة ومنهجها عن كثب وحاوروا علماءها وأميرها سعود بن عبدالعزيز، وعرفوا أنها هي الدين الحق، واعترفوا بهذه الحقيقة قالوا:

« نشهد –ونحن علماء مكة الواضعون خطوطنا وأختامنا في هذا الرقيم ، أن

(١) مقدمة صيانة الإنسان (٨، ٩).

هذا الدين الذي قام به الشيخ: محمد بن عبدالوهاب، – رحمه الله تعالى – ودعا إليه إمام المسلمين : سعود بن عبدالعزيز، من توحيد الله، ونفي الشرك، الذي ذكره في هذا الكتاب، أنه هو الحق الذي لا شك فيه ولا ريب.

أشهد بذلك، وكتبه الفقير إلى الله تعالى: عبدالملك بن عبدالمنعم، القلعي، الحنفي، مفتي مكة المكرمة، عفى عنه، وغفر له[1].

ثم شهد به كل من: محمد صالح بن إبراهيم، مفتي الشافعية بمكة، ومحمد بن محمد عربي، البناني، مفتي المالكية بمكة المشرفة، ومحمد بن أحمد المالكي، وعبدالحفيظ بن درويش العجيمي، وزين العابدين جمل الليل، وعلي بن محمد البيتي، وعبدالرحمن جمال، وبشر بن هاشم الشافعي »[2].

وشهد بذلك وأقر به الشريف غالب وكان من ألدّ أعداء الدعوة قائلاً: «الحمد لله رب العالمين، أشهد: أن هذا الدين، الذي قام به الشيخ: محمد بن عبدالوهاب، ودعانا إليه إمام المسلمين: سعود بن عبدالعزيز، من توحيد الله ﷻ، ونفي الشرك له، وهو الدين الحق الذي جاء به النبي ﷺ، وكتبه: الشريف غالب بن مساعد، غفر الله له آمين ؛ الشريف غالب »[3].

وممن أثنى على الإمام ودعوته ورسوخه في العلم الإمام الشوكاني، في كلام طويل قال فيه: "بعض الناس يزعم أنه يعتقد اعتقاد الخوارج وما أظن ذلك صحيحاً ، فإن صاحب نجد وجميع أتباعه يعملون بما تعلموه من محمد بن عبدالوهاب، وكان حنبلياً، ثم طلب الحديث بالمدينة المشرفة، فعاد إلى

(١) الدرر السنية (٣١٤/١).

(٢) الدرر السنية (٣١٥/١).

(٣) الدرر السنية (٣١٦/١).

نجد وصار يعمل باجتهادات جماعة من متأخري الحنابلة كابن تيمية وابن القيم وأضرابهما، وهما من أشد الناس على معتقدي الأموات ، وقد رأيت كتاباً من صاحب نجد الذي هو الآن صاحب تلك الجهات ، أجاب به على بعض أهل العلم، وقد كاتبه وسأله بيان ما يعتقده فرأيت جوابه مشتملاً على اعتقاد حسن موافق للكتاب والسنة، فالله أعلم بحقيقة الحال.

وأما أهل مكة فصاروا يكفرونه ويطلقون عليه اسم الكافر[1]. وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدلُّ على ثبات قدمه، وقدم صاحبه في الدين.

وفي سنة (١٢١٥هـ) وصل من صاحب نجد المذكور مجلدان لطيفان ، أرسل بهما إلى حضرة مولانا الإمام حفظه الله، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبدالوهاب كلها في الإرشاد إلى إخلاص التوحيد، والتنفير من الشرك الذي يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسُّنة ، والمجلد الآخر يتضمن الردّ على جماعة من المقصرين من فقهاء صنعاء وصعدة ، ذاكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين ، وبجماعة من الصحابة ، فأجاب عليهم جوابات محررة مقررة محققة ، تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة. وقد هدم عليهم جميع ما بنوه، وأبطل جميع ما دوّنوه ؛ لأنهم مقصرون متعصبون ، فصار ما فعلوه خزياً عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة»[2].

(١) وهـذه شهادة من محايد ثقة عالم بأن بعض خصوم الدعوة يجترؤون على التكفير ويقعون فيه .

(٢) البدر الطالع (٥٢٥-٥٢٧).

وقال الأستاذ محمود شكري الألوسي عن عقيدة أهل نجد ومنهجهم، وأنهم على نهج السلف الصالح: « والحاصل أن مذهبهم في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة وأن طريقتهم طريقة السلف التي هي الطريق الأسلم بل الأحكم، وهي أنهم يقرّون آيات الصفات والأحاديث على ظاهرها ويكلون معناها[1] إلى الله تعالى كما قال الإمام مالك في الاستواء ، ويعتقدون أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى».

« وأما ما يكذب عليهم بأنهم يفسرون القرآن برأيهم ، ويأخذون من الحديث ما وافق فهمهم من دون مراجعة شرح ولا معول في شيخ ، وأنهم يضعون من رتبة النبي ﷺ وأنه ليس لـه شفاعة ، وأن زيارته غير مندوبة وأنهم لا يعتمدون أقوال العلماء ، وأنهم يتلفون مؤلفات أهل المذاهب لكون الحق والباطل فيها وأنهم مجسمة، وأنهم يكفّرون الناس على الإطلاق من بعد الستمائة إلى هذا الزمان ، إلا من كان على ما هم عليه، وأنهم لا يقبلون بيعة أحد إلا إذا أقر عليه أنه كان مشركاً ، وأن أبويه ماتا على الشرك بالله ، وأنهم ينهون عن الصلاة على النبي ﷺ ، وأنهم يحرمون زيارة القبور المشروعة مطلقاً، وأنهم لا يرون حقاً لأهل البيت ، وأنهم يجبرونهم على تزويج غير الكفء لهم إلى غير ذلك من الافتراءات ؛ فكل ذلك زور عليهم وبهتان وكذب محض من خصومهم أهل البدع والضلال ، بل أقوالهم وأفعالهم وكتبهم على خلاف ذلك كله، فمن روى عنهم شيئاً من ذلك أو نسبه إليهم فقد كذب عليهم وافترى ، ومن شاهد حالهم وحضر مجالسهم وتحقق ما عندهم علم قطعاً أن جميع ذلك وضعه عليهم، وافتراه

(١) ليست طريقة السلف تفويض المعاني بل تفويض الكيفية ؛ فالمعاني معلومة كما يدل لهذا قول الإمام مالك رحمه الله .

أعداء الدين ».

إلى أن قال: « والقصد بما ذكرناه التنبيه على خطأ من نسب إلى القوم ما هم بريئون منه مما يخل بالديانة ، حتى أساء الظن بقسم عظيم من الأمة العربية ، وانطوى على بُغضهم الذي هو من أعظم أسباب النفاق ، وغالب من أشاع ذلك هم أهل البدع والأهواء الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً ، وكذبوا بأقوالهم وأفعالهم على الدين المبين ، الذي هو بعيد عنهم بمراحل ، وهم الدجالون الجالبون على الإسلام كل عار ، وإلا فأهل الإيمان هم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه »[(١)].

ويقول الأستاذ أمين سعيد: « أما بعد، فسيرة الإمام الشيخ محمد ابن عبدالوهاب التميمي من أحفل السير بالعظات، وأغناها بالفضائل، وأحقها بالبحث والفحص، والتفسير والتعليل، في سيرة مصلح من كرام المصلحين، ومجاهد من كبار المجاهدين، وعالم من خيرة العلماء، أنار الله بصيرته، وهداه سبله، وألهمه التقوى فدعا أمته للرجوع إلى الله، والعمل بكتابه، وسنة رسوله، ونبذ الشرك وعبادة القبور، فانقادت إليه واقتدت به، واستجابت له، فأخرجها الله به من الظلمات إلى النور فنجت وفازت، وجنت أطيب الثمار، وسمت إلى مرتبة الأخيار »[(٢)].

وقال: « وحققت الدعوة لنجد آمالها، وقد بدأت في محيطها، أول ما بدأت فأنشأت لها مجتمعاً إسلامياً سليما، يؤمن بالتوحيد ويعظم شأنه ويسير على هداه، ولا يدعو مع الله أحداً ، ولا يزال هذا حاله، لم يتبدل ولم يتغير منذ عهد الشيخ حتى يومنا هذا، فهو يصدع بالحق ويؤمن به »[(٣)].

(١) تاريخ نجد للألوسي (٤٥-٤٩) باختصار وتصرف يسير.
(٢) هذا هو كتاب سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٧).
(٣) المصدر السابق (٨، ٩).

وقال: « وسيجد دارس هذه الدعوة دراسة علم وتدبر، ورغبة صادقة في الوقوف على حقيقتها وبلوغ أعماقها، والإحاطة بتطورها وتحولها ، أن الإخلاص الكامل والرغبة الصادقة في تطهير الدين من البدع والخرافات والعودة إلى الإسلام الصحيح، والأخذ بمذهب الإمام أحمد مذهب السلف الصالح ، هو الحافز الحقيقي الذي حفز صاحبها إلى دعوتها والمناداة بها »[(١)].

إلى أن قال: « الشيخ لم يبتدع بدعة، ولم يحدث حدثاً، ولم يأت بجديد من عنده وإنما هو رأي ارتآه، يمكن أن يلخص بهذه الجملة (الرجوع إلى الله والعمل بما جاء في كتاب الله والاقتداء بالرسول والسير على سننه)»[(٢)].

وقال الأستاذ منير العجلاني بعد أن ساق عدة تعاريف للدعوة: « وعندنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: عودة إلى الإسلام في أول أمره ومطلع فجره، ومتى قلنا ذلك كفينا أنفسنا عناء الجدل العقيم، ثم قال: وحركة محمد بن عبدالوهاب هي حركة تجديد وتطهير: تجديد وإحياء لما أهمله المسلمون من أمور الإسلام وأوامره، وتطهير للإسلام مما أدخلوه عليه من الشركيات والبدع!.

ولم تكن دعوة محمد بن عبدالوهاب دعوة « فيلسوف » معتزل في غرفته، ولكنها كانت دعوة زعيم مصلح، يكافح دون عقيدته، ويعمل لها بلسانه ويده، وبكل قلبه، وبكل عقله، وبكل جهده.

إن دعوة محمد بن عبدالوهاب ليست « نظرية » أو كتاباً ألفه ليقرأه الناس، ولكنها منهاج رسمه، وقام وراءه يدعو إلى العمل به، بالموعظة أولاً ثم بالقوة ؛ قوة

(١) المصدر السابق (١٣).
(٢) المصدر السابق (١٣، ١٤).

دولة الإسلام التي قامت على أساس الشرع وحده ، فمنهاج الشيخ ليس إصلاحاً دينياً خالصاً، بالمعنى الذي يفهمه الأوربيون اليوم ، لأنهم يفرقون بين الدين والدنيا ، ويجعلون الدين صلة خاصة بين العبد وخالقه ، لا يُحمل الناس على اتباعه بالقوة ، ثم هم يفرقون بين الدين (أو الشرع) وبين القانون ، ويقولون إن الدولة تلزم الأفراد بالقانون الذي تضعه هي لهم، ولكنها لا تلزمهم بالشرع، بل قد يخالف قانونها الشرع!.

وخلاصة القول: أن الوهابية حركة قامت بنشر التوحيد، وكافحت الشرك والبدع، واستأنفت الجهاد، وأنشأت دولة إسلامية على أساس الشرع وحده، ونحن بعد هذا نتفق مع القائلين بأن منهاج الحكومة الوهابية ، كان مستمداً في كثير من أموره من أفكار ابن تيمية في «السياسة الشرعية » وغيرها من كتبه، ومن أفكار تلامذته، وخصوصاً ابن القيم»(١).

وقال الأستاذ حافظ وهبة تحت عنوان: «ما هي الدعوة الوهابية؟» :

« لم يكن الشيخ محمد بن عبدالوهاب نبياً كما ادعى نِيبُهر الدانمركي، ولكنه مصلح مجدد داع إلى الرجوع إلى الدين الحق، فليس للشيخ محمد تعاليم خاصة، ولا آراء خاصة ، وكل ما يطبق في نجد من الفروع هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح ويخالفون من عداهم ، وتكاد تكون عقائدهم وعباداتهم مطابقة تمام المطابقة لما كتبه ابن تيمية وتلاميذه في كتبهم ، وإن كانوا يخالفونهم في مسائل معدودة من فروع الدين»(٢).

وقال أحمد عبدالغفور عطار في الدعوة وإمامها ودولتها: « فالشيخ

(١) تاريخ البلاد العربية السعودية (١/٢٤٠-٢٤٢).

(٢) جزيرة العرب في القرن العشرين (٣٠٨، ٣٠٩).

الإمام مصلح ديني، واجتماعي وزعيم سياسي، والمصلح الديني في الإسلام ليس الذي يكون في عزلة عن المجتمع أو السياسة أو الحكم أو الدولة، بل يتناول الإصلاح كل أسباب الحياة ومقوماتها، فالمصلح الديني يصلح حياة الأمة ظاهرها وباطنها ، وإصلاح الباطن هو إصلاح المعتقد، وكان الإمام محمد بن عبدالوهاب مصلحاً دينياً على هذا المعنى ، وكان بصيراً نافذ البصر في شؤون الحكم ؛ لأنه وقف على نظم الحكم في الإسلام وغير الإسلام، وعرف الحكم الإسلامي الصحيح الذي كان رسول الله ﷺ قد أنشأه وأرسخ قواعده، وتمسك به من بعده خلفاؤه الراشدون الأربعة، ومن بعدهم عمر بن عبدالعزيز، وعرف حكم غير هؤلاء من الخلفاء والملوك معرفة ثاقبة ، وأوقفته دراسة القرآن والسنة على أنظمة حكومات مختلفة سبقت الإسلام من جاهلية وغيرها.

إلى أن قال: «أبرز الشيخ ومحمد بن سعود الدعوة إلى الواقع بعد أن كانت فكرة، وأقاما مجتمعاً إسلامياً، ودولة إسلامية »(١).

وقال الأستاذ فؤاد حمزة : « أطلق على أهل نجد خطأً في القرن الماضي اسم الوهابيين ، ونسب إليهم أنهم أهل مذهب جديد في الإسلام ، إلا أن الحقيقة الآن أصبحت معروفة للناس، فأهل نجد سلفيون يقلدون في المسائل الاجتهادية الإمام أحمد بن حنبل ، وقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في القرن الماضي دعوة إصلاحية خالصة لوجه الله ، سداها ولحمتها الدعوة إلى الرجوع إلى الإسلام الصحيح، وترك البدع وهدم معالم الشرك والخرافات والأوهام، وأما نسبة المذهب الجديد إليهم ، فقد حدث بسبب اختلاط الدعاية التي بث ضدهم

(١) محمد بن عبدالوهاب لأحمد عبدالغفور عطار (٨٨-٩٢).

بعناصر سياسية بقصد تنفير الناس منهم ، وعدهم خارجين على الإسلام ، إلا أنهم مسلمون سنيون ، موحدون سلفيو العقيدة خالصوا الإيمان »[1].

وقال الشيخ محمد أبو زهرة: « لقد اتسمت العصور التي جمد فيها العقل بتقديس آراء الأئمة المجتهدين كما أشرنا، وكان من مظاهر ذلك : تقديس الصالحين في حياتهم وبعد مماتهم، وزيارة أضرحتهم والطواف حولها بما يشبه الطواف حول بيت الله الحرام ، وكان من أثر ذلك أن قامت طائفة تحارب هذا وتشدد في محاربته متبعة في ذلك آراء ابن تيمية ، وقد أخرجتها من مرقدها، بعد أن طمرتها السنون »[2]، ثم قال: « ظهرت الوهابية في الصحراء العربية، نتيجة للإفراط في تقديس الأشخاص والتبرك بهم وطلب القربى من الله بزيارتهم ، ونتيجة لكثرة البدع التي ليست من الدين، وقد سادت هذه البدع في المواسم الدينية والأعمال الدنيوية ، فجاءت الوهابية لمقاومة كل هذا وأحيت مذهب ابن تيمية »[3].

وقال الزركلي في الأعلام: « محمد بن عبدالوهاب بن سليمان التميمي النجدي، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية الحديثة في جزيرة العرب ، .وكانت دعوته – التي جهر بها سنة (١١٤٣هـ) (١٧٣٠م) – الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله تأثر بها رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها، فظهر الألوسي الكبير في بغداد، وجمال الدين الأفغاني بأفغانستان، ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمي بالشام، وخير الدين التونسي بتونس، وصديق حسن خان في بهوبال، وأمير علي في كلكتة، ولمعت أسماء آخرين ، وعُرف من والاه وشد أزره في قلب

(١) قلب جزيرة العرب لفؤاد حمزة (١٠٤، ١٠٥).
(٢) المذاهب الإسلامية (٢١١، ٢١٢).
(٣) المذاهب الإسلامية (٢١١، ٢١٢).

الجـزيرة بأهل التوحيد « إخوان من أطاع الله » ، وسماهم خصومهم بالوهابيين (نسبة إليه) وشاعت التسمية الأخيرة عند الأوربيين ، فدخلت معجماتهم الحديثة، وأخطأ بعضهم فجعلها «مذهباً» جديداً في الإسلام، تبعاً لما افتراه خصومه، ولاسيما دعاة من كانوا يتلقبون بالخلفاء من الترك العثمانيين »[1].

وقال العقاد: « النهضة في مصر بدأت عند أوائل القرن التاسع عشر ، ولكنها بدأت في الجزيرة العربية قبل ذلك بنحو ستين سنة بالدعوة الوهابية ، التي تنسب إلى الشيخ محمد ابن عبدالوهاب، وبدأت نحو هذا الوقت في اليمن بدعوة الإمام الشوكاني صاحب كتاب « نيل الأوطار»، وكلاهما ينادي بالإصلاح على نهج واحد ، وهو العود إلى السنن القديم ورفض البدع والمستحدثات في غير هوادة، وإنما تسامع الناس بحركة الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وظلت الدعوة الشوكانية مقصورة على قراءة كتب الفقه والحديث ؛ لأن الوهابيين هدموا القباب والأضرحة في الحجاز واصطدموا بجنود الدولة العثمانية في إبان حربها مع الدولة الأوربية التي اتفقت على تقسيمها ، مثل هذا الاصطدام قد أودى بدولة علي بك الكبير في مصر، فانتقض عليه أعوانه وتمكن منه حساده بعد محالفته لروسيا في حرب الخلافة الإسلامية ، ولم تذهب صيحة ابن عبدالوهاب عبثاً في الجزيرة العربية ولا في أرجاء العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، فقد تبعه كثير من الحجاج وزوار الحجاز ، وسرت تعاليمه إلى الهند والعراق والسودان وغيرها من الأقطار النائية ، وأعجب المسلمين أن سمعوا أن علة الهزائم التي تعاقبت عليهم إنما هي في ترك الدين لا في الدين نفسه، وأنهم خلقاء أن يستجدوا ما فاتهم من القوة والمنعة ، باجتناب البدع والعودة إلى دين السلف الصالح في

(١) الأعلام لخير الدين الزركلي (٧/٢٥٧).

جوهره ولبابه »[1].

وإن من الحق ما شهدت به الخصوم ومن ذلك ما قاله عن أثر هذه الدعوة، خصمها: عثمان بن سند البصري واختصره عنه أمين بن حسن الحواني بقوله: « من محاسن الوهابيين أنهم أماتوا البدع ومحوها، ومن محاسنهم أنهم أمنوا البلاد التي ملكوها وصار كل ما كان تحت حكمهم من هذه البراري والقفار يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خفر، خصوصاً بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت إلى الشام كأنهم إخوان أولاد رجل واحد»[2].

وإذا كانت الشهادات السابقة من أناس مسلمين من العرب وغيرهم، فغالبية من وقفوا على حقيقة الدعوة من الرحّالة والباحثين والمستشرقين أثنوا عليها وعلى إمامها، وربما كانوا أكثر عدلاً في الحكم عليها من خصوم الدعوة وأعدائها من المسلمين.

ولعل السبب في ذلك أن أولئك الباحثين كانوا محايدين بخلاف من حصلت بينهم وبين الدعوة مصادمات، أو أثرت تلك الدعوة على مكانتهم، فكان هذا سببا لاختلال مصداقيتهم تجاهها.

يقول الرحالة (بوركهارت) السويسري الأصل[3]: « لم تكن مبادئ محمد بن عبدالوهاب مبادئ ديانة جديدة؛ بل كانت جهوده موجهة فقط لإصلاح المفاسد التي تفشّت بين المسلمين ونشر العقيدة الصافية بين البدو الذين كانوا مسلمين اسمياً،

(١) موسوعة العقاد الإسلامية (٤/٦٠٨، ٦٠٩).

(٢) نقلاً عن انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب. محمد كمال جمعة (٥٦).

(٣) نقلت الكلام بهوامشه التي علقها الدكتور عبدالله الصالح العثيمين مترجم الكتاب.

لكنهم جهلاء بالدين وغير مبالين بكل فروضه التي أوجبها[1]، وكما هي الحال بالنسبة لكل المصلحين لم يُفهم محمد بن عبدالوهاب من قِبَل أصدقائه ولا من قِبَل أعدائه[2].

« وبالإضافة إلى ذلك كانت هناك تقارير كثيرة من الحجاج الذين ذهبوا عن طريق البحر إلى جدة ومكة، وعانوا من غطرسة الجنود الوهابيين، ولم يسمح لهم بأداء الحج أحيانا، وبعد عودتهم إلى بلادهم بالغوا في تصوير ما عانوه، ومن المؤكد أن وصفهم للوهابيين لا يمكن أن يكون محايداً».

ويقول: "إذا تطلب الأمر دليلاً آخر على أن الوهابيين مسلمون محافظون فإن كتبهم توضّح ذلك، فحينما استولى سعود على مكة وزّع نسخاً من تلك الكتب على السكان[3]، وأمر أن يحفظها التلاميذ في المدارس العامة، وليس فيما احتوته إلا ما لابد لكل تركي من أن يعترف بأنه الحق، وكانت لدى سعود فكرة سيئة مؤدّاها أن سكان تلك المدينة نشأوا على جهل تام بدينهم، ولذلك رغب في أن يعلمهم أصوله الأولى »[4].

(١) ورد في بعض رسائل الشيخ محمد ما يؤيد ما ذكره المؤلف، بل إنه كان بين البدو من لا يؤمن بالبعث بعد الموت.
انظر: روضة الأفكار، ج١ ص (١٠٨و١٤٤) (العثيمين).

(٢) أكثر أصدقاء الشيخ محمد قد فهموه فهماً جيداً، لكن من عامة أتباعه من جهل مبادئه نوعاً ما. أما أعداؤه فمنهم من فهمه، لكنا حاربه عناداً، ومنهم من جهله فعارضه بناء على ما أشيع عنه خطأ (العثيمين).

(٣) الكتاب الذي وزّعه سعود على أهل مكة بعد دخوله إليها هو رسالة الأصول الثلاثة؛ وهي معرفة العبد ربه ودينه ونبيّه محمداً ﷺ وهذه الرسالة من تأليف الشيخ محمد المطبوعة مرات عديدة. وقد أورد بوركهارت ترجمة لها جعلها من بين ملاحق كتابه هذا (العثيمين).

(٤) مواد لتاريخ الوهابيين لبوركهارت (١٣-١٧) ترجمة وهوامش الدكتور عبدالله العثيمين.

إلى أن قال: « ولا يوجد في النظام الوهابي أي مبدأ أخلاقي جديد ، فقد اتخذ محمد بن عبدالوهاب القرآن والسنة دليله الوحيد ، والخلاف بين فرقته وبين الأتراك السنّة، مهما قيل عنه ، هو أن الوهابيين يتبعون بدقة نفس الأحكام التي أهملها الآخرون أو توقفوا عن مزاولتها كلية ، ولهذا فإن وصف الديانة الوهابية ما هو إلا تلخيص للعقيدة الإسلامية»[1] .

وقال المستشرق الفرنسي هنري لاوست بعد أن ذكر حركة الأفغاني ومحمد عبده: « ويطلق لقب السلفية أيضاً على الحركة الوهابية ؛ لأنها أرادت إعادة الإسلام إلى صفائه الأول ، في عهد السلف الصالح ، ولكن كلمة السلفية ليست خاصة بالوهابيين أو الحنابلة ، ففي كل المذاهب السنية سلفيون »[2] .

وكتبت (معلمة الإسلام) في نسختها الإنكليزية، تحت عنوان « الوهابية »، ما يلي: «غاية الوهابية تطهير الإسلام ، وتجريده من البدع التي أدخلت عليه بعد القرن الثالث الهجري، ولذلك نراهم يعترفون بالمذاهب الأربعة وبكتب الحديث الستة »[3].

وقال الكاتب الأمريكي لوثروب ستودارد : « الدعوة الوهابية إنما هي دعوة إصلاحية خالصة بحتة ، غرضها إصلاح الخرق ، ونسخ الشبهات، وإبطال الأوهام ، ونقض التفاسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى ، ودحض البدع وعبادة الأولياء ، وعلى الجملة هي الرجوع إلى الإسلام والأخذ به على أوله وأصله ولبابه وجوهره ، أي إنها الاستمساك بالوحدانية التي أوحى الله بها

(١) المرجع السابق (١٣-١٧) .
(٢) تاريخ البلاد العربية السعودية للعجلاني (١/٣٥١).
(٣) المصدر السابق (١/٣٥٦).

إلى صاحب الرسالة صافية ساذجة[1] ، والاهتداء والائتمام بالقرآن المنزل مجرداً وأما ما سوى ذلك فباطل وليس في شيء من الإسلام . ويقتضي ذلك الاعتصام كل الاعتصام بأركان الدين وفروضه وقواعد الآداب ؛ كالصلاة والصوم وغير ذلك »[2].

وقال المستشرق الهولندي كرستيان سنوك هود خرونيه : « لقد ظهر على أرض شرق الجزيرة العربية مصلح للإسلام[3] كسب إلى جانبه أمراء[4] الدرعية الذين ساندوه في دعوته ، ثم تدريجياً آمنت بدعوته كل مراكز الجزيرة العربية ، لقد كان هذا المصلح ينوي أن يعيد الحياة للإســـلام بكل ما لديه من قوة، ليس في الجزيرة وحدها، بل في كل مكان يستطيع الوصول إليه»[5].

إلى أن قال: « لقد كان السمة التي تميز بها محمد بن عبدالوهاب كونه عالماً تثقف بالعلوم الإسلامية ، وفهم مقاصدها وأسرارها، واستطاع بجدارة تامة أن يبرز الإسلام بالصورة الصالبة النقية، كما جاء به الرسول ﷺ»[6].

وقال المستشرق الأسباني «أرمانو» الذي طاف عام (١٩٢١) في أنحاء نجد: « إن كل ما ألصق بالوهابية من سفاسف وأكاذيب لا صحة له على الإطلاق ، فالوهابيون قوم يريدون الرجوع بالإسلام إلى عصر صحابة «محمد » ﷺ وإنما ينقصهم للوصول إلى أهدافهم المقدسة رجال متنورون مثقفون ، وهم وياللأسف قلائل في هذه الديار، كما

(١) التعبير بالسذاجة هنا غير مقبول إطلاقا ، ولعل مراد الكاتب أنها بسيطة غير معقدة .
(٢) حاضر العالم الإسلامي ترجمة عجاج نويهض تعليق: شكيب أرسلان.
(٣) هو الإمام محمد بن عبدالوهاب.
(٤) هو الإمام محمد بن سعود مؤسس الدولة السعودية الأولى ونصير الدعوة.
(٥) صفحات من تاريخ مكة (٢٥٣، ٢٥٤).
(٦) المصدر السابق (٥٢٦ ، ٢٥٧).

تنقصهم أيضاً الدعاية لأجل إظهارهم على حقيقتهم البريئة الشريفة »[1] .

وفي ختام هذا المبحث أشير لأبرز الأسماء التي أثنت على الدعوة وإمامها .

– علماء ومفكرون وأدباء عرب :

أبوالسمح عبدالظاهر المصري (مصر).
أبوراس الناصر المغربي (المغرب).
أحمد أمين (مصر).
أحمد السباعي (الحجاز).
أحمد العسَّة.
أحمد بن مشرف الأحسائي (الأحساء).
أحمد حسين (مصر).
أحمد سعيد البغدادي (العراق).
أحمد شلبي (مصر).
أحمد عبدالغفور عطار (الحجاز).
أمين سعيد (الشام).
جمال الدين القاسمي (الشام).
حافظ وهبة (مصر).
حسين بن غنام الأحسائي (الأحساء).
حسين بن مهدي النعيمي (اليمن).
خير الدين الزركلي (الشام).
صالح بن دحيل الجار الله (العراق).
طاهر الجزائري (الشام).
طه حسين (مصر).
عباس محمود العقاد (مصر).
عبدالرحمن الجبرتي (مصر).
عبدالرحمن راتب عميرة (مصر).
عبدالرزاق البيطار (الشام).
عبدالرحيم عبدالرحمن عبدالرحيم
عبدالفتاح الغنيمي (اليمن).
عبدالعزيز بن عبدالله الشاوي (العراق).
عبدالكريم الخطيب (مصر).
عبدالقادر التلمساني.
عبدالمتعال الصعيدي (مصر).
عبدالكريم بن فخر الدين الهندي (الهند).

(١) كتاب « الإسلام » للمستشرق الإيطالي (ليبرتيني) نقلاً عن كتاب بين الديانات والحضارات لطه المدوَّر (١٤٢).

علي السويدي (العراق).
عثمان البصري الوائلي (العراق).
علي عبدالحليم محمود (مصر).
على طنطاوي (الشام).
الغزالي خليل عيد (مصر).
عمر أبوالنصر (مصر).
فؤاد حمزة
محب الدين الخطيب (مصر).
محمد أبو زهرة (مصر).
محمد بن أحمد الحفظي (اليمن).
محمد بن إسماعيل الصنعاني (اليمن).
محمد بن علي السنوسي (الحجاز).
محمد بن علي الشوكاني (اليمن).
محمد بن ناصر الشريف التهامي (الحجاز).
محمد بهجة الأثري (العراق).
محمد تقي الدين الهلالي (المغرب).
محمد جميل بيهم (العراق).
محمد جلال كشك
محمد حامد الفقي (مصر).
محمد جميل غازي (مصر).
محمد رشيد رضا (الشام ومصر).
محمد خليل هراس (مصر).
محمد ضياء الدين الريس (العراق).
محمد شويل المدني.
محمد عبده (مصر).
محمد عبدالله ماضي (العراق).
محمد فتحي عثمان (مصر).
محمد عبده ناشر (اليمن).
محمد محمد حسين (مصر).
محمد كامل القصاب (الشام).
محمود شكري الألوسي (العراق).
محمد ناصر الدين الألباني (الشام).
محمد كامل ضاهر
محمود مهدي الأستانبولي (الشام).
مصطفى الحفناوي
مناع القطان (مصر).
منير العجلاني (الشام).
وهبة الزحيلي (الشام).

– مفكرون وأدباء من غير العرب :

الأمير شكيب أرسلان (الشام).
جودت باشا تركي (تركيا).

الشاه ولي الله الدهلوي صديق خان (الهند).

عثمان بن فودي الأفريقي (أفريقيا).

عمران بن علي بن رضوان الفارسي.

غلام رسول مهر (الهند).

محمد إقبال (الهند).

محمد بشير السهسواني الهندي (الهند).

محمد كرد علي (الشام).

محمد يوسف (الهند).

مسعود الندوي (الهند).

منح هارون (الهند).

- مفكرون ومؤرخون وأدباء أجانب من غير المسلمين:

المؤرخ الألماني داكوبرت فون ميكوس.

لوثروب ستودارد.

المستشرق الألماني كارل بروكلمان.

الأستاذ ويلفرد كانتول.

المستشرق النمساوي جولد زيهر.

المستشرق البريطاني جب.

البروفسور ألبرت حوراني.

دائرة المعارف البريطانية.

فيليب حتي.

الكاتب الألماني ف. و. فرنو.

المؤرخ الفرنسي مانجان.

بلغريف.

المستشرق الدانمركي كارستل نيبوهر.

الكاتب الفرنسي أوليفييه كورانسيز.

البروفسور الفرنسي برنارد لويس.

المؤرخ السوفياتي فلادمير لوتكس.

جواهر لال نهرو

البجيكي دوزي

بركارت

ويلمز

برانجس

باديا

هنري لاوست

روسو

آثار الدعوة النجدية

كان للدعوة التي قام بها الإمام آثار جلية في الجزيرة العربية على وجه الخصوص ، وفي عدد من بلدان العالم الإسلامي ، وقد أشار عدد من العلماء والباحثين إلى تلك الآثار وهذه مقتطفات منها .

يقول الأستاذ أمين سعيد في وصف الأثر الطيب للدعوة:

«حققت الدعوة لنجد آمالها، وقد بدأت في محيطها، أول ما بدأت، فأنشأت لها مجتمعاً إسلاميً سليماً، يؤمن بالتوحيد ويعظم شأنه ويسير على هداه، ولا يدعو مع الله أحداً ، ولا يزال هذا حاله لم يتبدل ولم يتغير منذ عهد الشيخ حتى يومنا هذا ، فهو يصدع بالحق ويؤمن به ، وانبثق عن هذا المجتمع دولة عربية كريمة ، نشأت في ظل الدعوة وآمنت بها ، فكانت أول دولة عربية كبرى يؤسسها العرب في داخل جزيرتهم بعد دولة الخلفاء الراشدين ، فاتبعت طريقهم، وترسمت خطاهم ، فسادت وشادت ووسعت حدودها، وضمت إليها قطر الحجاز وبلاد عسير وتهامة ، ودقت أبواب العراق ، واكتسحت حدوده ، وبلغت مشارف الشام وامتلكت بعض أجزائه ، ووضعت يدها على الضفة الغربية للخليج (الخليج العربي) وتمتد من المحيط الهندي جنوباً إلى شط العرب شمالاً ، ولا يقل طولها عن ألف ميل ، فزينت راية التوحيد شطآنها، ورفرفت على ربوعها ، وانتشرت الدعوة في بلاد العرب وبلاد الشام وسرى نورها في أرجائها ، فأقبل عليها الكثيرون وأخذوا بها، وتفاعلوا معها ، واستجابوا لها فكانت الأم الكبرى لهذه النهضات التي تعم بلاد العرب ، وبلاد المسلمين ، وتعم الشعوب العربية ، والشعوب الإسلامية فأحيت ميت الهمم ، وأيقظت خامد النفوس ، وضرب الشيخ صاحب الدعوة الوهابية الأمثال على تجرده

ونزاهته ، وعلى أنه لم يرد من دعوته سوى وجه الله وحده ، وإصلاح حال أمته والنهوض بها ، وإنقاذها من ظلمات الجهالة التي كانت تغمرها ، وتقيمها وتقعدها، فاعتزل السياسة سنة ١١٨٧هـ بعدما استقرت الدعوة واستقام عودها ، وزال كل خطر يهددها ، وتضاعف عدد أنصارها المؤمنين بها ، وعكف على عبادة ربه ، يشكره على نصره وتأييده ، وابتعد عن الدنيا وزخارفها ، لا يبغي حكماً ولا سلطاناً ، ولا مالاً ، ولا نسباً ، وظل هذا شأنه يصوم النهار ويقوم الليل عابداً مجتهدا خالصاً لله مخلصاً ، حتى وافته منيته سنة ١٢٠٦هـ ، فذهب إلى لقاء ربه راضياً مرضياً ، بما قدم وأسلف ، على أن هذا لا يمنعنا من القول بأن الدعـوة الوهابية نفسها ، لم تلق من عناية علماء نجد وأدبائها وكتابها ما كان يجب أن تلقاه ، ولعل مصدر ذلك انزواء نجد في قلب الجزيرة سحابة القرنين الماضيين ، وصعوبة الاتصال بها ، وقلة وسائل النشر لديها ، على أن هذا كله زال الآن ، فتيسرت الأسباب ، وفتحت الأبواب ، وازدهرت رياض العلم ، مما نرجو أن يضاعف اهتمامهم ، ويشحذ عزائمهم فسيرة الشيخ محمد من أحفل السير بالعظات ، ومن أجدرها بالدرس ، لها جوانبها المحددة ، ومصادرها الكثيرة ، يضاف إلى ذلك كله أن الشيخ خلف ثروة عظيمة وكنوزاً حافلة من الكتب والمؤلفات ، في حاجة إلى إعادة الطبع والترجمـة على اللغات الأجنبيـة ليعم نفعها ، ويستفيد الناس منها ، ويغترفوا من بحر فضلها »[1].

وقال محمد جلال كشك:

« جاء الشيخ من أعماق نجد يعلن أن الإسلام هو الطريق، وأن المشكلة ليست في العقيدة، بل في الانحراف عنها، وأن العودة إلى جوهرها الصافي كفيل بإعطاء المسلمين

(١) هذا هو كتاب سير الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٩-١١).

القدرة على مواجهة التحدي الأوروبي وقهره... صحيح أنه لم يواجه قوة أوروبية بشكل مباشر وشامل لا هو ولا خلفاؤه، فقد شغلتهم حروبهم مع الرافضين المسلمين والعرب، إلا أن انتصاراتهم على التخلف وقدرتهم على خلق المحارب الذي يكاد ألا يقهر عززت حجة الرافضين لمنطق الهزيمة، وأبقت الفرضية مطروحة إلى اليوم ، وهي اكتساب القوة المادية، بنفس الأسلوب الذي اكتسبها به أجدادنا المسلمون الأوائل ، وتلك هي أهمية الدعوة الوهابية في المرحلتين، الأولى في عهد عبدالعزيز بن سعود والثانية في النصف الأول من عهد عبدالعزيز، فقد جرت المحاولتان في مناخ الهزيمة الشاملة للعالم الإسلامي ، فضربتا المثل على إمكانية النصر بالإسلام، وإمكانية أن يكون الحل الشامل لمشكلة العالم الإسلامي مستمداً ومطابقاً للحل الجزئي ، الذي جرب ونجح في أشد مناطق هذا العالم تخلفاً وفقراً في الإمكانيات المادية... وفي نفس الوقت عجزت المحاولتان عن تقديم الحل الشامل والجذري للمشكلة، ومن ثم فقد أبقتا الجدل مستمراً، إذ منعتا التاريخ من أن يحسمه في اتجاه رفض الحل الإسلامي، ولكنهما لم تعطيا أنصار هذا الحل الحجة الحاسمة ولا المنهاج، فقد فشلت التجربتان في إجبار التاريخ على الاستجابة لهذا الاختيار... وما زلنا في نفس الوضع.

فحركة البعث الإسلامي والجامعة الإسلامية، ودعاة الإصلاح الديني، وانتفاضات المهديين والسنوسيين، ليست كلها إلا استجابة متفاوتة الفهم والوضوح، لذلك الجواب الذي طرحه السعوديون: العودة للإسلام وتحرر المسلمين من الهزيمة المطبقة ، وساعد الحل السعودي على البقاء في الساحة »[1].

وقد شهد بوركهارت للوهابيين فقال : « لكي نصف الدين » الوهابي، فإن ذلك

(١) السعوديون والحل الإسلامي (١٠٩، ١١٠).

يعني وصف العقيدة الإسلامية، ولذا فإن علماء القاهرة، أعلنوا أنهم لم يجدوا أية هرطقة (بدعة أو خروج عن الدين) في الوهابية، وحتى بعد سقوط الدولة السعودية، فإن ظاهرة الانفجار الإسلامي، ستظل تجذب المستكشفين، وسيأتي جورج والين ١٨٤٥-١٨٤٨ ليقول عن السعوديين: «إنهم لا يدعون أنفسهم وهابيين أبداً، فهذا الوصف استخدمه خصومهم، أما هم فيصفون أنفسهم ببساطة بأنهم «المسلمون أو الموحدون».

وقال «إن بعض الكتاب المعاصرين، يزعم أن الوهابيين أنشأوا مذهباً خاصاً بهم، وهو زعم خاطئ، فالوهابيون مجرد إصلاحيين، يتبعون المذهب الحنبلي»[1].

(١) السعوديون والحل الإسلامي (١٣٢-١٣٤).

شبهات حول المملكة

تواجه المملكة العربية السعودية عددا من الانتقادات حول مجموعة من القضايا، كحقوق المرأة والتعليم الديني، وتطبيق بعض العقوبات (كقطع يد السارق وجلد شارب الخمر وقتل المرتد)، ويعتقد البعض أن هذا يرتبط بـ (الوهابية) كمسلك متشدد في الإسلام، ويخفى على بعض أولئك المنتقدين حقيقة الأسس التي بنت المملكة عليها موقفها في تلك القضايا، ومما يجب التنبه له هنا أن المملكة دولة مسلمة، تحكم مجتمعا مسلما، ومصدر التشريع الأساسي في المملكة القرآن الكريم والسنة النبوية، وللمملكة مكانة خاصة عند المسلمين على مستوى العالم؛ لكونها القائمة بخدمة المقدسات الإسلامية والمشرفة عليها. كما نصت على ذلك المادتان (١) (٧) وغيرهما من نظام الدولة، وما من خيار في العمل بما يخالف أحكام الإسلام، وذلك[1]: أن التحاكم إلى الشريعة الإسلامية واجب على المسلمين كوجوب الصلاة والصيام، ويعتبر المجتمع المسلم آثماً إذا تخلى عن تطبيق الشريعة الإسلامية وهو قادر عليها كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾[2].

والشريعة الإسلامية نظام إلهي أنزله الله رب البشر، وإذا اختار مجتمع أن يكون الإسلام مصدرا للتشريع فاحترام إرادته واجبة، والقوانين والأنظمة السائدة في دول العالم في الجملة أنظمة بشرية، وبينها تفاوت واختلاف كبير، وتتعرض بين الفينة والأخرى للتغيير والتبديل، ومع هذا فالمجتمع الدولي يقرها ويحترمها، فالنظام

(١) كثير من مادة هذه القضايا تم اقتباسها من مذكرة للدكتور محمد بن عبدالله السحيم (٦-٣٠) بتصرف.

(٢) سورة المائدة، آية (٤٤).

المرتبط بدين وعقيدة أولى بالاحترام والإقرار.

أما ما يتعلق بالحدود والعقوبات فهي أحكام تنص عليها الشريعة ، كما ينص على مثلها أي قانون في الدنيا، باعتبارها جزاءات توقع على المخالفين ، وكل شعوب العالم ودوله لها خصوصياتها ومناهجها في قوانينها وأنظمتها الخاصة في قانون الجزاء والعقوبات وغيرها.

ويبقى النظر في المصالح المتحققة من خلال تطبيق القانون ، ومدى أثره ونتيجته كحافظ للأمن ومثبت لاستقرار الناس في معاشهم وتنقلاتهم وأخلاقهم ، وقد أثبت نظام العقوبات والحدود في الإسلام أنه الأنفع والأجدى في حفظ الضرورات الخمس (الدين والعقل والنفس والمال والنسب) ، وفي الردع والعدل ، وليس من الإنصاف انتزاع مادة من قانون أو حكم من شريعة وإبرازه وكأنه مثلبة في هذا القانون أو ذاك ، ولكن نظرة الإنصاف تقتضي النظر إلى النظام كله بمجمله ، واعتبار آثار تطبيقه .

ومما يذكر هنا أيضا ، ما يعرض به بعض الحاسدين والجاهلين ، وبعض وسائل الإعلام المشبوهة أن المملكة حكومة وشعباً من مصادر ما يسمونه (الإرهاب والتطرف).

وبغض النظر عن دوافع تلك التهمة وأبعادها ، إلا أن هناك أمرا مهما يشير إليه بعضهم ، يجلي شيئا من الأهداف التي يريدونها ، إذ يدخل بعضهم تطبيق الشريعة والحدود الشرعية، والنهي عن المنكر في مفهوم الإرهاب والتطرف، وهذا أمره واضح فإنه بذلك يتهم الإسلام نفسه، ويعيب المملكة بما هو شرف لها.

والواقع في المملكة يشهد بخلاف ذلك، فالدولة السعودية كانت ولا تزال تتميز بالطرح المتزن في محاربة التشدد والفساد في الأرض والإرهاب والتطرف الحقيقي، وذلك في كل المجالات والأصعدة في البلد نفسها، وعلى مستوى دول الخليج،

والدول العربية والإسلامية ، وعلى مستوى العالم دولاً ومنظمات وهيئات.

ومواقف علماء المملكة وفتاواهم كثيرة وجلية ، في وجوب الاعتدال والوسطية وتوخى الحكمة ، والنهي عن التشدد في الدين ، وعن الفساد في الأرض، وتحريم الظلم والعُدوان مع المسلم وغير المسلم.

ووسائل الإعلام ، ومناهج التعليم كلها في المملكة تقوم على منهج واضح ، وتؤكد على الاعتدال والوسطية .

أما ما يصدر من بعض التصرفات الشاذة من بعض الأفراد الذين يغويهم الشيطان وتنحرف بهم سبل الضلالة أو تستغلهم بعض الاتجاهات المشبوهة ، فهذا خلاف المنهج وخلاف الأصل والواقع ، وإذا كان هناك بعض الأفراد من المملكة ممن شاركوا في بعض أعمال العنف التي حدثت في المملكة وخارجها ، فإن هذا لا يعطي دلالة على تبني هذا المنهج أو الدعوة إليه في المملكة ، وذلك لعدة اعتبارات مهمة :

١- أن المملكة قد نالها بعض الأذى من تلك الأعمال ، وتبذل جهدا في سبيل القضاء على فكر التطرف ، ومحال أن تقر منهجا فكريا أو مناهج علمية تؤثر على أمنها .

٢- حوادث التطرف والإرهاب لم تقتصر على المملكة وبعض الدول تعرضت لأشد مما تعرضت له المملكة ، والواقع أن الإرهاب لا يرتبط بجنسية .

٣- التطرف والإرهاب لم تسلم منه الدول الغربية ، فهناك جماعات ومنظمات في الدول الغربية ، تنتهج العنف والتفجير في سبيل الوصول لأهدافها ، وليسوا بمسلمين فضلا عن أن يكونوا من المتأثرين بمنهج المملكة، فهل ترتب عليه وصم تلك الدول التي ينتمون إليها بالتطرف والإرهاب .

والمملكة لا تزال حكومة وشعباً علماء ومسئولين، تنكر هذه الاتجاهات الشاذة وتحذر منها، وتبذل جهوداً كبيرة للوقاية منها وعلاجها على كل المستويات، وعلى سائر الصعد.

والمملكة من منطلق التزامها للإسلام لا تقر المفاهيم الخاطئة للإرهاب والعنف ونحوهما من المصطلحات الحادثة التي تباينت المفاهيم حولها، فدفع العدوان والاستعداد له حق مشروع، تقره كل الشرائع والنظم والقيم في العالم وليس إرهاباً، كما قال الله تعالى: ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ﴾ [سورة البقرة، آية: ١٩٤]، وقال: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠﴾ [سورة البقرة، آية: ١٩٠].

فالدفاع المشروع للشعوب المظلومة كما يحدث في فلسطين ليس إرهاباً ولا عنفاً في كثير من صوره.

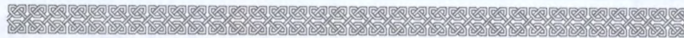
كما أن تطبيق الشريعة الإسلامية، والحدود الشرعية، بالضوابط الشرعية ليس عنفاً ولا إرهاباً.

وكذلك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ليس إرهاباً ولا عنفاً كما يزعم الجاهلون، إنما هو منهج إصلاحي شرعه الله تعالى يحقق العدل والأمن والفضيلة، ويحارب الظلم والفساد والرذيلة.

الخاتمة

وفي الختام فمن الإنصاف أن تكون الأحكام التي يصدرها المرء مبنية على تصور واضح، مدعوم بالاستدلال والتوثيق، وما من شك أن الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب، قد تعرضت لكثير من التشويه، وتناولها البعض بالنقد والتشهير، وما من شك في أن العصمة لأنبياء الله ورسله صلوات الله وسلامه عليهم، فالخطأ وارد وقوعه من علماء الدعوة وأتباعها ومن غيرهم، والعبرة بالمنهج والمسيرة الغالبة، وهي مالا يستطيع المنصف المتأمل للدعوة وتاريخها ونتاجها العلمي إلا أن يسلم بفضلها، وسلامة منهجها، كيف لا! وهي تقتفي آثار النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته من بعده، ولا تخرج في شئ من معتقداتها عما كان عليه العلماء والأئمة.

أسأل الله سبحانه أن يرزقنا الهداية والسداد، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الفهرس